

قاعدة جامعة

في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة

تأليف

شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية

المتوفى سنة ٧٢٨ هـ رحمه الله تعالى

تقديم وتحقيق

الدكتور عبد الله بن محمد بن سليمان البصيري

الأستاذ المساعد بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة





دار العاصمة

للنشر والتوزيع

قاعدة جامعة

في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة

تأليف

شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية

المتوفى سنة ٧٢٨ هـ رحمه الله تعالى

نقديم وتحقيق

الدكتور عبد الله بن محمد بن سليمان البصيري

الأستاذ المساعد بالجامعة الاسلامية في المدينة المنورة

دار العاصمة

للنشر والتوزيع


قاعدة جامعة
في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة

ح دار العاصمة للنشر والتوزيع، ١٤١٨ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم

قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة / تحقيق عبد الله محمد البصيري ــ الرياض.

١١٢ ص؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك: ٦ ــ ٥٧ ــ ٧٤٩ ــ ٩٩٦٠

١ ــ التوحيد أ ــ البصيري، عبد الله محمد (محقق) ب ــ العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٨/٠٦٢٢

رقم الإيداع: ١٨/٠٦٢٢

ردمك: ٦ ــ ٥٧ ــ ٧٤٩ ــ ٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

دار العاصمة

المملكة العربية السعودية

الرياض - ص ب ٤٢٥٠٧ - الرمز البريدي ١١٥٥١

هاتف ٤٩١٥١٥٤ - ٤٩٣٣٣١٨ - فاكس ٤٩١٥١٥٤

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإن عقيدة التوحيد وهي عبادة الله وحده لا شريك له هي العقيدة التي أَرسل الله بها رسله وأنزل بها كتبه من لدن آدم عليه السلام إلى نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، كما قال تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت...﴾ [النحل/ ٣٦]. وقال تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ [الأنبياء/ ٢٥]. وعقيدة التوحيد هي الغاية التي خلق الله من أجلها الخلق كما قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات/ ٥٦]. وقد أمر الله سبحانه رسوله محمداً بعبادته وحده لا شريك له وإخلاص العبادة له كما قال تعالى: ﴿إنَّا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين، ألا لله الدين الخالص﴾ [الزمر/ ٢ـ٣]. وقال تعالى: ﴿قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين﴾ [الزمر/ ١١]. ثم أمر الله رسوله محمداً ـ كما أمر سائر الأنبياء من قبله ـ بدعاء الناس إلى عبادة الله وحده وإخلاص العمل له، ونبذ الشرك والخلوص منه، كما قال تعالى: ﴿هو الحي لا إله إلا هو

فادعوه مخلصين له الدين. الحمد لله رب العالمين﴾ [غافر/ ٦٥]. وقال تعالى: ﴿فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون﴾ [غافر/ ١٤]. وقال تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾ [البينة/ ٥]. فقام رسول الله ﷺ بما أمر به، وقام بتبليغ دعوته وأداء رسالته ودعاء الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له وترك عبادة ما سواه، ولاقى ﷺ في سبيل دعوته ما لاقى من الأذى والعنت والعناء والمكابدة من قومه ولكنه عليه الصلاة والسلام صبر وصابر فأيده الله بنصر من عنده وأيده بأصحاب آزروه وناصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه فنصره الله وأعزه وأظهره كما قال تعالى: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ [الصف/ ٩]. فبلَّغَ ﷺ رسالة ربه، وأدَّى أمانته، ونصحَ لأُمته، وبالغ في حماية جانب التوحيد، وتخليصه من وسائل الشرك وشوائبه، فترك صحابته الكرام على عقيدة صافية خالصة لا تشوبها شائبة من شوائب الشرك، بل تركهم كما قال ﷺ: «تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»[1]، وبعد وفاته ﷺ حمل صحابته الكرام رضي الله عنهم مشعل الخير والنور وقاموا بأمر الدعوة إلى الله وحده لا شريك له، ففتح الله على أيديهم البلاد والقلوب، ونشروا العقيدة الإسلامية في أرجاء المعمورة في فترة وجيزة لم يعرف لها التاريخ مثيلاً، لكن طوائف الكفر والضلال من أعداء الإسلام لم يرضهم الحال

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٦) عن العرباض بن سارية، وذكره الشيخ ناصر الدين الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٤١).

فأخذوا يكيدون للإسلام ويخططون لهدمه والقضاء عليه، فظهر الكثير من المؤامرات، فقتل أمير المؤمنين ـ عمر رضي الله عنه ـ، ثم قُتِلَ عثمان ـ رضي الله عنه ـ، ثم خرجَ الخوارج على علي ـ رضي الله عنه ـ، ثم ظهر التشيع، ثم الرفض، ثم ظهرت القدرية، ثم الإرجاء والتجهم، ثم الاعتزال، ثم الأشاعرة، ثم ظهر التصوف وفرق الباطنية من القرامطة والنصيرية والملاحدة وغيرها من فرق الضلال، ثم ظهر من بعد ذلك ما يعكر صفو توحيد العبادة فظهر التوسل بالصالحين ودعائهم وندائهم عند الشدائد، والتبرك بقبورهم والنذر لها والذبح لها والسفر إليها، وغير ذلك من أنواع الشرك ووسائله، لكن من نعم الله على هذا الدين أن أتمه وأكمله، ثم تكفل بحفظه ونصره إلى قيام الساعة، كما قال تعالى: ﴿إنَّا نحن نزلنا الذكر وإنَّا له لحافظون﴾ [الحجر/ ٩]. وقال تعالى: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدِّين كله ولو كره المشركون﴾ [الصف/ ٩]. وقال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»[1]، فعلى مر العصور والأيام يهيء الله لهذا الدِّين وهذه العقيدة أئمة علماء أعلام يقومون بنصر العقيدة ونشرها والدفاع عنها، ورد كيد الكائدين وعبث المفسدين عنها، ومن هؤلاء الأئمة والعلماء الأعلام: شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد ابن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية الحراني، الدمشقي، الحنبلي، الذي عاش في الفترة من ٦٦١ ـ ٧٢٨ رحمه الله وأسكنه فسيح جناته، فقد

---

(١) رواه مسلم (١٩٢٠)، عن ثوبان رضي الله عنه.

تصدى لـلانتصار لعقيدة السلف أهل السنـة والجماعة، وهـي المبنية على كتاب الله وسنـة نبيه ﷺ، فقـام عليه رحمـة الله منتصراً للحـق ومدافعـاً عنه وناشراً له، قام رحمه الله بلسانه وقلمه وسنانه في وجه أعداء الإسلام، وبالغ في الرد على فـرق الأشاعرة والمعتزلـة والجهمية، وصدع بالحـق في وجوه الرافضة والصـوفية والباطنية من النصيـرية والإسماعيلية والاتحـادية وسائر المـلاحدة وفـرق الضـلال، ولـه رحمه الله معهـم صـولات وجولات، وقـد كشف رحمه الله ضلالهم وأبان عوارهـم وهتك أستارهم، كما قام رحمه الله بالـدعوة إلى الجهـاد في سبيل الله وشارك مـع المسلمين في حربهـم ضد التتـار، وأظهر رحمـه الله شجاعـة فائقـة وبطـولة نـادرة وكانـت له مـواقف مشهودة وجهـود محمودة، وقـد أكثر رحمـه الله التأليف حتـى قال الـذهبي رحمه الله: «لا أبعد أن تكون مؤلفـاته خمس مائة مجلدة»[1] قلت: وأغلبها في العقيـدة بياناً وإيضـاحاً للعقيدة السلفيـة وردوداً، على خصومهـا، وقد أوذي رحمه الله بسبب جـرأته وشجاعتـه وصدعه بـالحق ووقوفـه أمام أهل الباطـل، وقد أخـرج من بلده دمشـق، ثم تعرض للسجـن مراراً حتى مـات مسجوناً بقلعة دمشـق، ومع هذا لـم يثن عزمه ولم يفت في عضـده ولم يؤثر في نشاطه، بل زاده قوة ونشاطاً ورغبـة في تصحيح العقيدة وبيانها والدفاع عنهـا، وقد هيـأ الله سبحانـه وتعالـى له تـلاميـذ مخلصين[2] أخذوا علمـه

---

(١) العقود الدرية، ص٢٥.

(٢) منهم العلامة المحقـق شمس الدين ابن القيم الذي سار على نهـج شيخه في نصرة العقيدة بيانـاً وإيضاحاً ودفاعاً، وترك رحمـه الله مؤلفاتٍ نافعة نفـع الله بها، وقد طبع =

ونشروه وحافظوا على ما أمكنهم من كتبه، وإن كان بعضها أحرق وأتلف من قبل خصومه، ولكن الله برحمته ومنته قد تكفل بحفظ هذا الدِّين وظهوره ونصر أنصاره فظهر الكثير منها بعد وفاة الشيخ رحمه الله، وانتفع المسلمون بها وما يزال المسلمون ينتفعون بها إلى يومنا هذا ولله الحمد، فقد طُبِعَ منها ـ فيما أَعلم ـ ما يزيد على سبعين مجلداً، وما يزال البعض مخطوطاً والبعض مفقوداً.

أَسأَل الله أن يهيء الأَسباب لإخراجها وظهورها حتى يعم النفع بها، فقد آتى الله مؤلفها علماً وفقهاً وبياناً قلّما يوجد في غيره، وكان رحمه الله معتمداً فيما يكتب على كتاب الله وسنة رسوله، فسدده الله في أقواله ورزقه الصواب في آرائه، ولا ندّعي فيه العصمة ولكنها نعمة الله يمن بها على من يشاء من عباده: ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾.

وقد رزقه الله بعد وفاته الذكر الحسن والثناء الجميل والدعاء، ولايزال ذكره الحسن والثناء عليه والدعاء له إلى يومنا هذا، وهذا من علامات الخير والفلاح، رحمه الله وأَسكنه فسيح جناته.

هذا ومن نعم الله سبحانه وتعالى عليَّ أن منَّ عليَّ بالحصول على

= ولله الحمد أكثرها وإن كان بعضها لا يزال مخطوطاً، ومنهم العلامة المحقق محمد ابن أحمد بن عبدالهادي، والعلامة المفسر عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير، وغيرهم ممن يصعب استقصاؤهم في هذه المقدمة الموجزة، رحمهم الله وجزاهم عن الإسلام وأهله خير الجزاء.

نسختين خطيتين لرسالة من رسائل هذا الإمام الجليل شيخ الإسلام رحمه الله في العقيدة عنوانها: «قاعدة في توحيد الله وإخلاص العمل والوجه له عبادة واستعانة».

ولما كان توحيد العبادة هو أصل الإسلام وقاعدته وهو أصل دعوة جميع الرسل ـ كما ذكرت في أول المقدمة ـ ولأن هذه الرسالة القيِّمة بيانٌ لهذا التوحيد ودعوة إليه، ولمكانة مؤلفها شيخ الإسلام ابن تيمية ومنزلته العلمية العالية؛ فقد عزمت على تحقيقها وإخراجها ونشرها مساهمة في نشر عقيدة السلف وإحياء التراث السلفي القيم، هذا ولا أخفي قصور باعي وقلة بضاعتي في هذا الميدان، لكني اجتهدت وبذلت وسعي، فما كان فيه من صواب فمن ربي وله الحمد والشكر، وما كان فيه من قصور وخطأ فمني، وأسأل الله التوفيق والسداد وأسأله أن يلهمني الرشد والصواب.

هذا ولم أُترجم لشيخ الإسلام رحمه الله وغفر له؛ نظراً لشهرته ومكانته المعروفة فقد ترجم له الكثير وكُتبت عنه دراسات كثيرة بلغت مجلدات، ولعلي في هذه المقدمة قد ألمحت إلى شيء من جهوده وآثاره رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

وفي الختام أشكر الله سبحانه وتعالى الذي منّ علي بخدمة هذه العقيدة ونشرها، وأسأله سبحانه أن يجعل عملي هذا وكل أعمالي خالصة لوجهه الكريم، وأسأله أن ينفع به إنه سميع عليم.

ثم أَشكر الأَخ ماجد بن عبدالله السعيد الذي ساعدني في نسخ مخطوطة الأَصل وقام بطباعة «مقدمتي للرسالة» على الكمبيوتر، فجزاه الله خيراً وبارك فيه.

كما أَشكر الأَخ الفاضل الزميل الدكتور صالح بن محمد العقيل، الذي أخبرني بوجود النسخة الخطية الثانية في مكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية فجزاه الله خيراً.

كما أَشكر أَخي عبدالرحمن بن محمد البصيري حفظه الله، الذي لايألو جهداً ولا يدخِّر وسعاً في مساعدتي، أَسأل الله أن يعظم له الأَجر والثواب.

وأَشكر ابني محمداً أَصلحه الله وهداه، الذي ساعدني في المقابلة والتصحيح وقام بطباعة هذه الرسالة على الكمبيوتر، فللجميع الشكر والثناء.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحابته أَجمعين.

عبدالله بن محمد بن سليمان البصيري
المدينة النبوية
كلية الدعوة، قسم العقيدة
٢٨/ ٣/ ١٤١٦هـ

وقد قدمت لهذا العمل الأُمور الآتية :

١ ـ طبعات الرسالة.

٢ ـ صحة نسبة الرسالة لشيخ الإسلام.

٣ ـ وصف النسخ الخطية لهذه الرسالة.

٤ ـ المصطلحات التي استعملتها في التحقيق.

٥ ـ بيان عملي في هذه الرسالة.

❑ ❑ ❑

١ ـ طبعات الرسالة :

هذه الرسالة لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، لم تطبع مستقلة ـ فيما أَعلم ـ إلا طبعة واحدة عام ١٣٩٩هـ، في مصر بتحقيق الدكتور/ محمد السيد الجليند، بعنوان: «كتاب التوحيد وإخلاص العمل والوجه له عز وجل»، وهذه الطبعة قد نفذت الآن، كما يوجد بها نقص في مواضع سوف أُبينه في موضعه في الحاشية، كما يوجد بها أَخطاء مطبعية، وقد طبعت ضمن مجموع الفتاوى الذي جمعه الشيخ عبدالرحمن بن قاسم.

ولما كان شيخ الإسلام رحمه الله قد تكلم في هذه الرسالة على سورة الفاتحة، ولما كانت هذه السورة العظيمة مشتملة على التوحيد أَعظم اشتمال فقد أَطال رحمه الله الكلام عليها، وحيث إن الشيخ ابن قاسم رحمه الله لما جمع رسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، صنفها ورتبها بحسب الموضوعات فبدأ منها بما يتعلق بالعقيدة ثم بالتفسير ثم الحديث وهكذا، لهذا فإن الشيخ ابن قاسم رحمه الله أَخذ الجزء الأَول منها وهو ما يتعلق بتوحيد الإلهية وجعله في قسم العقيدة (١/ ٢٠ ـ ٣٦) وأَخذ الجزء الباقي منها وهو الكلام على سورة الفاتحة وهو الكبير فجعله في قسم التفسير (١٤/ ٥ ـ ٣٦)، وقد ذكر الدكتور الجليند في مقدمته ص٦٧ أنه لم يطبع منها في مجموع الفتاوى إلا جزء قليل، وذلك بسبب أنه لم يطلع على بقية الرسالة في قسم التفسير، وهذا القسم منها المتعلق بالتفسير قد

طُبِعَ ضمن «دقـائق التفسير» لشيخ الإسـلام ابن تيمية، الـذي طُبِعَ بتحقيق الدكتور الجليند (٢/ ١٣٧)، كما طبع ضمن كتاب: «التفسير الكبير» لشيخ الإسلام، الذي طبع بتحقيق الدكتـور/ عبدالرحمن عميرة (٢/ ٢٩٩)، هذا ولما كـان في طبعها كـاملة ومستقلة مـا يسهل على القراء الحصـول عليها وييسر الاستفادة منها، فقد عزمت على تحقيقها ونشرها، يسر الله ذلك ونفع به ورزقني المعونة والتوفيق والسداد إنه سميع عليم.

٢ ـ صحة نسبة هذه الرسالة لشيخ الإسلام رحمه الله :

نسبة هـذه الرسـائل لشيخ الإسلام رحمـه الله صحيحة وذلـك لأُمور منها:

١ ـ ذكرهـا تلميذه المحقق ابن القيم رحمه الله في رسالتـه: «مؤلفات شيخ الإسـلام رحمـه الله» ص٢٥ بعنـوان: «قـاعـدة جـامعـة فـي تـوحيـد الشهادة» ويترجـح عندي أنها هي هذه، وإن اختلفت عن العنـوان الكامل للـرسالـة الذي ذكـره شيخ الإسـلام، لا يعني أنها ليسـت هي؛ لأَن توحيـد الشهادة هـو توحيد الله، فـاختصار العنوان أو ذكـره بمعناه لايدل علـى عدم صحة النسبـة ـ كما هو معـروف ـ وقد ذكـر الشيخ ابن قاسم رحمـه الله أنها تسمى «قاعـدة في توحيد الإلهيـة» وجاء على غلاف النسخـة (ب): «هذه قاعدة في التوحيد».

٢ ـ أَفـاد منها تلميـذ المؤلـف المحقق ابن القيم رحمـه الله في أَول كتابيـه: «طريق الهجرتيـن وباب السعادتين» و«إغـاثة اللهفان» ونقـل منها

بالنص تارة وبالمعنى تارة أُخرى، وتوسَّع في ذلك رحمه الله.

انظر: «طريق الهجرتين ص٥٥ وما بعدها» و«إغاثة اللهفان ١/ ٣٥ـ٥٥» وانظر «ص٣٠ وما بعدها من هذه القاعدة».

٣ ـ أسلوب الشيخ المتميز واضح فيها؛ لما عرف عنه رحمه الله من قوة الاستدلال ووضوح البيان وسعة الاطلاع.

٤ ـ ما جاء في أَول النسخ كلها أَنها لشيخ الإسلام رحمه الله.

٣ ـ وصف النسخ الخطية :

بتوفيق الله سبحانه حصلت على نسختين خطيتين لهذه الرسالة:

الأُولى: وهي الأَصل الذي اعتمدت عليه في التحقيق، حصلت على صورتها من مكتبة الشيخ إبراهيم بن عبدالرحمن الحصين رحمه الله وغفر له وأَسكنه جناته.

وهي ضمن مجموع في العقيدة لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وهي كاملة، ولكن المجموع التي هي ضمنه ناقص من الأَول والآخر، وقد حاولت العثور على بقيته، وذلك لكي أَتمكن من معرفة عنوانه وناسخه وتاريخ نسخه، لكني لم أَجده.

وهذه المخطوطة في عشر ورقات ومسطرتها ٢٠×١٥ سم تقريباً، وعدد الأَسطر ٢٧ سطراً في كل صحيفة تقريباً وهي بخط النسخ لكل صحيفة وخطها واضح وكبير، سقط منه بعض الكلمات فكان يستدركها

في الحاشية ويكتب عليها: صح، وهي مضبوطة وقليلة الأَخطاء وقد كتب في بعض حاشيتها بخط مغاير عناوين، مثل: مطلب في كذا أو فوائد، لكنها قليلة وسأشير إليها في موضعها، إن شاء الله، وقد اتخذتها الأَصل؛ لضبطها وقلة الأَخطاء.

الثانية: حصلت على صورتها من مكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، وهي مصورة على فيلم رقم ٤٥٦٤، وهي مصورة عن أصلها في جامعة ليدن بهولندا. وهذه المخطوطة ضمن مجموع فيه عدة كتب منها رسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكتاب التوحيد لابن قدامة وهو المطبوع بعنوان: «لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد»، وهذه المخطوطة تقع في ١٤ ورقة ومسطرتها ٢٠×١٢ سم لكل صحيفة، وعدد الأسطر ٢٤ سطر في كل صحيفة تقريباً، وهي بخط النسخ وخطها جيد وقليل الأَخطاء، وكتب في الورقة العاشرة: بلغ مقابلة، كما كتب في نهايتها: بلغ مقابلة وتصحيحاً على الأَصل بحسب الطاقة والإمكان، سنة ١٣٣٧هـ، كما كتب في بعض المواضع؛ في الحاشية: لعله: كذا، ولم يظهر لي: هل هي بقلم الناسخ أو بقلم غيره؟ كما كتب على طرتها: قاعدة في التوحيد.

٤ ـ المصطلحات التي استعملتها في التحقيق :

(أ) نسخة الأَصل التي اعتمدت عليها في التحقيق.

(ب) النسخة الثانية، التي صورتها من مكتبة الجامعة الإسلامية.

(ف) طبعة الفتاوى.

(فتح) فتح الباري شرح صحيح البخاري وجميع إحالات صحيح البخاري عليه.

٥ ـ بيان عملي في هذه الرسالة :

١ ـ قمت بنسخ مخطوطة الأَصل الذي اعتمدت عليه في التحقيق ثم قابلته بالنسخة الخطية الثانية وأَثبت الفروق بينهما في الحاشية كما قمت بتصحيح النص وتصويبه، وبينت ذلك في الحاشية.

٢ ـ قابلت النص مع الطبعة المصرية ومع طبعة الفتاوى في بعض المواضع، وبينت النقص الواقع في الطبعة المصرية في الحاشية.

٣ ـ عزوت الآيات القرآنية إلى مواضعها من كتاب الله.

٤ ـ خرجت الأَحاديث والآثار ما أَمكنني ذلك، وذكرت مواضعها من كتب السنة، وذكرت ما قاله العلماء في الحكم على الحديث بإِيجاز.

٥ ـ شرحت الكلمات الغريبة في النص.

٦ ـ علقت على المواضع التي رأيت أنها تحتاج إلى بيان وتوضيح.

٧ ـ وضعت عناوين للموضوعات تسهيلاً للاستفادة منها، وقد استعنت في ذلك بالطبعة المصرية.

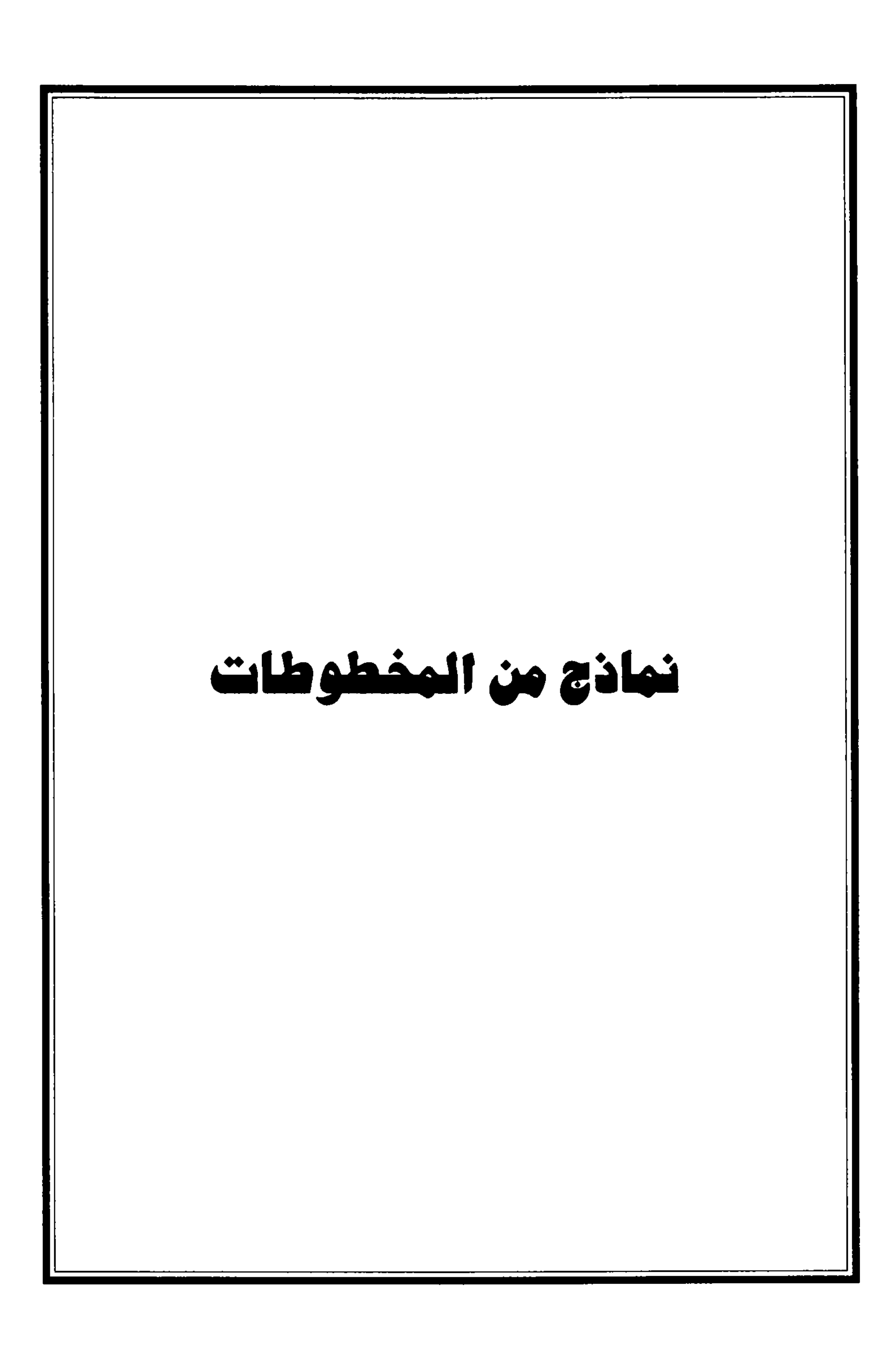
٨ ـ وضعت الفهارس الآتية:

١ ـ فهرس الآيات.

٢ ـ فهرس الأَحاديث والآثار.

٣ ـ فهرس الموضوعات.





نماذج من المخطوطات



بسم الله الرحمن الرحيم قال الشيخ الإمام العالم أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني رحمه الله تعالى
الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله
وسلم تسليما كثيرا قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة
قال الله تعالى قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء
قدير وقال وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون وقال تعالى وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف
له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله وقال تعالى إياك نعبد وإياك نستعين وقال تعالى فاعبده وتوكل
عليه وقال عليه توكلت وإليه أنيب وقال تعالى يسبح لله ما في السموات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على
كل شيء قدير وقال تعالى فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقال تعالى
قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات
رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون وقال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة
في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له
وقال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون
إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا وقال تعالى ولا
تدع مع الله إلها آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون وقال تعالى وتوكل على الحي
الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى
الآية وقال تعالى وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ونظائر هذا في القرآن كثير وكذلك
في الأحاديث وكذلك في إجماع الأمة لا سيما أهل العلم والإيمان منهم فإن هذا عندهم قطب رحى
الدين كما هو الواقع ولنبين هذا بوجوه نقدم قبلها مقدمة وذلك أن العبد بل كل حي سوى الله بل
كل مخلوق فهو فقير محتاج إلى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره والمنفعة للحي هي من جنس النعيم و
اللذة والمضرة هي من جنس الألم والعذاب فلا بد له من أمرين أحدهما هو المطلوب المقصود
المحبوب الذي ينتفع ويلتذ به والثاني هو المعين الموصل المحصل لذلك المقصود والمانع
من دفع المكروه وهذان هما الشيئان المنفصلان الفاعل والغاية فهنا أربعة أشياء أحدها
أمر هو محبوب مطلوب الوجود والثاني أمر مكروه مبغض مطلوب العدم والثالث الوسيلة
إلى حصول المحبوب والرابع الوسيلة إلى دفع المكروه فهذه أربعة أمور ضرورية للعبد بل
ولكل حي لا يقوم وجوده وصلاحه إلا بها وأما ما ليس بحي فالكلام فيه على وجه آخر إذا تبين
ذلك فبيان ما ذكرته من وجوه أحدها أن الله هو الذي يحب أن يكون هو المقصود المدعو
دفع المكروه وما سواه هو المكروه وهو المعين على دفع المكروه فهو سبحانه الجامع للأمور الأربعة

الورقة الأولى من المخطوطة (أ)

اعطا سوله فقد يكون منفعة وقد يكون مضرة قال تعالى ويدعو الانسان بالشر دعاءه بالخير و
كان الانسان عجولا وقال تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم و
قال تعالى عن المشركين واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق فامطر علينا حجارة من السما او ايتنا
بعذاب اليم وقال تعالى ان تستفتحوا فقد جاكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم وقال تعالى ادعوا
ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين وقال تعالى واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا
فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شينا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض و
اتبع هواه الايه وقال فمن حاجك فيه من بعد ما جاك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم
ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين وقال النبي صلى الله عليه وسلم
لما دخل على اهلها [illegible] فقال لا تدعوا على انفسكم الا بخير فان الملائكة يومنون على ما تقولون فصل
فالعبد كما انه فقير الى الله دايما في اعانته واجابة دعوته واعطا سواله وقضاء حوايجه فهو فقير الى
الله في ان يعلم ما يصلحه وما هو الذي يصلحه ويزكيه وهذا هو الامر والنهي والشريعة والا فاذا
قضيت حاجته التي طلبها وارادها ولم يكن مصلحة له كان ذلك ضررا عليه وان كان حظا في الحال
فيه لذة ومنفعة فالاعتبار بالمنفعة الحاصلة الراجحة وهذا قد عرفه الله عباده برسله و
كتبه علموهم وزكوهم وامروهم بما ينفعهم ونهوهم عما يضرهم وبينوا لهم ان مطلوبهم ومقصودهم
ان يكون هو الله وحده لا شريك له كما انه هو ربهم وخالقهم وانهم ان تركوا عبادته او
اشركوا به غيره خسروا خسرانا مبينا وضلوا ضلالا بعيدا وكان ما اوتوه من قوة ومعرفة وجاه و
مال وغير ذلك وان كانوا فيه فقرا الى الله يستعينون به مقرين بربوبيته فانه ضرر عليهم ولهم بيس المصير
وسو الدار وهذا هو الذي يتعلق به الامر الديني الشرعي والارادة الدينية الشرعية كما يتعلق بالاول الامر
الكوني القدري والارادة الكونية القدرية والله سبحانه قد انعم على المومنين بالاعانة والهداية فانه
هداهم بارسال الرسل وانزال الكتب واعانهم على اتباع ذلك علما وعملا كما من عليهم وعلى سائر الخلق بما
خلقهم ورزقهم وعافاهم ومن على اكثر الخلق بان عرفهم ربوبيته لهم وحاجتهم اليه واعطاهم سوالهم
واجاب دعاهم قال تعالى يساله من في السموات والارض كل يوم هو في شان فكل اهل السموات والارض
سايله فصارت الدرجات اربعة قوم لم يعبدوه ولم يستعينوه وقد خلقهم ورزقهم وعافاهم وقوم
استعانوه فاعانهم ولم يعبدوه وقوم طلبوا عبادته وطاعته ولم يستعينوه ولم يتوكلوا عليه والصنف
الرابع عبدوه واستعانوه واعانهم على عبادته وطاعته وهولاء هم الذين امنوا وعملوا الصالحات فقد
من سبحانه بما خص به المومنين من قوله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق
والعصيان اولئك هم الراشدون اخر قاعدة التوحيد والحمد لله رب العالمين

يجب صح
عليه صح
ولم يتوكلوا عليه صح
الذين صح

الورقة الأخيرة من مخطوطة (أ)

الورقة الأولى من المخطوطة (ب)

ولم تكن مصلحة له كان ذلك ضررا عليه وان حصل له في الحال لذة ومنفعة فالاعتبار
بالمنفعة الخالصة او الراجحة وهذا مما عرفه الله عباده برسله وكتبه علموهم وزكوهم
وامروهم بما ينفعهم ونهوهم عما يضرهم وبينوا لهم ان مطلوبهم ومقصودهم
ومعبودهم يجب ان يكون هو الله وحده لا شريك له كما انه هو ربهم وخالقهم
وانهم ان تركوا عبادته او اشركوا به غيره خسروا خسرانا مبينا وضلوا ضلالا
بعيدا وكان ما اوتوه من قوة ومعرفة ورجا ومال وغير ذلك وان كانوا فيه
فقراء الى الله مستعينين به عليه مقرين بربوبيته فانه ضرر عليهم ولهم بئس المصير
وبئس الورد وهذا هو الذي يتعلق به الامر الديني الشرعي والارادة الدينية
الشرعية كما يتعلق بالاول الامر الكوني القدري والارادة الكونية القدرية والله
سبحانه قد انعم على المؤمنين بالاعانة والهداية فانه بين لهم هداهم بارسال
الرسل وانزال الكتب واعانهم على اتباع ذلك علما وعملا كما من عليهم وعلى سائر الخلق
بان خلقهم ورزقهم وعافاهم ومن على اكثر الخلق بان عرفهم ربوبيته لهم وحا
جتهم اليه واعطاهم سؤالهم واجاب دعاهم قال تعالى يسأله من في السموات
والارض كل يوم هو في شأن فكل اهل السموات والارض يسألونه فصارت الدرجات
اربعة قوم لم يعبدوه ولم يستعينوه ولم يتوكلوا عليه والصنف الرابع الذين
عبدوه واستعانوه فاعانهم على عبادته وطاعته وهولاء هم الذين امنوا
امنوا وعملوا الصالحات وقد بين سبحانه ما خص به المؤمنين من قوله
حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان
اولئك هم الراشدون

تمت بحمد الله وعونه وحسن توفيقه
وصلى الله على محمد واله ورضي
عن اصحابه أجمعين

بلغ مقابلة وتصحيحا
على الاصل بحسب [illegible]

الورقة الأخيرة من مخطوطة (ب)



في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة

تأليف

شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية

المتوفى سنة ٧٢٨ هـ رحمه الله تعالى

تقديم وتحقيق

الدكتور عبد الله بن محمد بن سليمان البصيري

الأستاذ المساعد بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة



بسم الله الرحمن الرحيم[١]

[قال الشيخ الإمام العالم أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية الحراني رحمه الله تعالى][٢]:

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً.

(قاعدة [جامعة][٣] في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة) :

قال الله تعالى: ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنَّك على كل شيء قدير﴾ [آل عمران/ ٢٦]. وقال: ﴿وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسَّكم الضر فإليه تجأرون﴾ [النحل/ ٥٣]. وقال تعالى[٤]: ﴿وإن

(١) بعدها في (ب) رب يسر وأعن.
(٢) ما بين القوسين من (أ) وليس في (ب).
(٣) في (ف) جليلة.
(٤) في (ف) ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير﴾ [الأنعام/ ١٧]. ثم قال: وقال تعالى في الآية الأخرى: ( ) ثم أورد هذه الآية المذكورة هنا في سورة يونس.

يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله﴾ [يونس/ ١٠٧].

وقال تعالى: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ [الفاتحة/ ٥]. وقال تعالى: ﴿فاعبده وتوكّل عليه﴾ [سورة هود آية ١٢٣]. وقال: ﴿عليه توكلت وإليه أُنيب﴾ [الشورى/ ١٠]. وقال تعالى: ﴿يُسبح لله ما في السموات وما في الأَرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير﴾ [التغابن/ ١]. وقال تعالى: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾ [محمد/ ١٩]. وقال تعالى: ﴿قل أفرءيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون﴾ [الزمر/ ٣٨]. وقال تعالى: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأَرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير. ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أَذن له﴾ [سبأ/ ٢٢، ٢٣]. وقال تعالى: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً. أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً﴾ [الإسراء/ ٥٦، ٥٧]. وقال تعالى: ﴿ولا تدع مع الله إلهاً آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون﴾ [القصص/ ٨٨]. وقال تعالى: ﴿وتوكل على الحي الذي لايموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيراً. الذي خلق السموات والأَرض وما بينهما... الآية﴾ [الفرقان/ ٥٨، ٥٩].

وقال تعالى: ﴿وما أُمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين...﴾ [البينة/ ٥].

ونظائر هذا في القرآن كثير[١]، وكذلك في الأَحاديث، وكذلك في إجماع الأُمـة، لاسيما أهل العلم والإيمـان منهم فإن هذا عنـدهم قطب رحا الدِّين كما هو الواقع، ويتبين هذا بوجوه نقدم قبلها مقدمة:

□ □ □

(١) في (أ) كثيرة. والمثبت من (ب) وهو الصحيح.

مقدمة في حاجة الجميع إلى الله

وذلك أن العبد بل وكل حي سوى الله بل وكل مخلوق [هو][١] فقير [محتاج][٢] إلى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، المنفعة للحي هي من جنس النعيم واللذة، والمضرة هي من جنس الأَلم والعذاب، فلابد من أَمرين:

أحدهما: هو المطلوب المقصود المحبوب الذي ينتفع ويلتذ به.

والثاني: وهو المعين الموصل المحصل لذلك المقصود والمانع من دفع المكروه.

وهذان هما [الشيئان][٣] المنفصلان، الفاعل والغاية، فهنا أَربعة أَشياء:

أَحدها: أمر هو محبوب مطلوب الوجود.

والثاني: أمر مكروه [مبغض][٤] مطلوب العدم.

---

(١) ليست في (ب).

(٢) ليست في (ب).

(٣) في (أ) السببان. والمثبت من (ب) و(ف).

(٤) في (ب) يبغض. والمثبت من (أ) و(ف).

والثالث: الوسيلة إلى حصول المحبوب.

والرابع: الوسيلة إلى دفع المكروه.

فهذه أَربعة أُمور ضرورية للعبد بل ولكل حي لا يقوم وجوده وصلاحه إلا بها، وأَما ما ليس بحي فالكلام فيه على وجه آخر، إذا تبيَّن ذلك فبيان ما ذكرته من وجوه:

أحدها: أن الله هو الذي يجب أن يكون هو المقصود المدعو المطلوب [وهو المعين على المطلوب][١] وما سواه هو المكروه وهو المعين على دفع المكروه، فهو سبحانه الجامع للأُمور الأَربعة دون ما سواه، وهذا معنى قوله: ﴿إِيَّاكَ نعبد وإِيَّاكَ نستعين﴾ [الفاتحة/ ٥]. فإن العبودية تتضمن المقصود المطلوب [لكن][٢] على أَكمل الوجوه، والمستعان هو الذي يُستعان به على المطلوب، فالأَول من معنى أُلوهيته والثاني من معنى [الربوبية][٣].

معنى الأُلوهية :

[إذ الإله][٤] هو الذي يؤله فيعبد محبة وإنابة وإجلالاً وإكراماً،

---

(١) ليست في (ب) وهي في (أ) و (ف).

(٢) في (ب) يكن. وهو خطأ.

(٣) في (أ) من معنى ربوبيته.

(٤) في (ب) أن لا إله إلا هو الذي يؤله. وهو خطأ.

والـرب هو الـذي يربي [عبـده](١) فيعطيـه خلقه ثم يهـديه إلـى جميع أَحواله من العبادة وغيرها.

وكذلـك قولـه تعالى: ﴿عليـه توكلت وإليـه أُنيب﴾ [الشورى/ ١٠]. وقوله: ﴿فاعبده وتوكل عليه﴾ [هود/ ١٢٣]. وقوله: ﴿... ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير﴾ [الممتحنة/ ٤].

وقـولـه: ﴿وتـوكل علـى الحي الـذي لايمـوت وسبـح بحمـده﴾ [الفرقـان/ ٥٨]. وقـوله: ﴿عليـه توكلـت وإليه متـاب﴾ [الرعـد/ ٣٠]. وقولـه: ﴿...وتبتل إليـه تبتيـلاً. رب المشـرق والمغـرب لا إلـه إلا هـو فـاتخـذه وكيلاً﴾ [المزمل/ ٨، ٩].

فهذه سبعة مواضع تنتظم هذين الأَصلين الجامعين.

□ الوجـه الثـــاني :

أن الله خلق الخلق لعبـادته الجامعة لمعـرفته والإِنابة إليـه ومحبته والإِخلاص له؛ فبـذكره تطمئن قلوبهم، وبـرؤيته في الآخرة تقـر عيونهم، ولا شيء فـي الآخرة أَحب إليهـم من النظـر إليه، ولا شيء [يعطيهـم في الدنيا](٢) أَعظم من الإِيمان به، وحاجتهم إليـه في عبادتهم إِيَّاه وتألههم [إياه](٣) كحاجتهم وأَعظم من خلقه لهم وربـوبيته إِيَّاهم، فإن ذلك هو

(١) في (ب) عبيده. وهو خطأ.

(٢) في (ب) ولا شيء في الدنيا. والمثبت من (أ) و(ف) وهو الصحيح.

(٣) ليست في (ب).

الغاية المقصودة لهم، وبذلك يصيرون عاملين متحركين، ولاصلاح لهم ولا فلاح ولا نعيم ولا لذة بدون ذلك بحال؛ بل من أعرض عن ذكر ربه فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى، ولهذا كان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء، ولهذا كانت لا إله إلا الله أحسن الحسنات، وكان التوحيد بقوله: (لاإله إلا الله) هو رأس الأمر.

فأما توحيد الربوبية الذي أقر به الخلق وقرره أهل الكلام فلا يكفي وحده بل هو من الحجة عليهم، وهذا معنى ما يروى: «يا ابن آدم خلقت كل شيء لك وخلقتك لي فبحقي عليك لا تشتغل بما خلقته لك عما خلقتك له»[١].

واعلم [أن هذا حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً][٢] كما في الحديث الصحيح الذي رواه معاذ عن النبي ﷺ أنه قال: «أتدري ما حق الله على عباده؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حقهم إن فعلوا ذلك أن لايعذبهم»[٣][٤].

---

(١) لم أجده.

(٢) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(٣) رواه البخاري ١٣/ ٣٥٩ رقم (٧٣٧٣) في التوحيد باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، ومسلم رقم (٢٩) ١/ ٥٨ في الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً.

(٤) هذا الحديث ساقط بتمامه من الطبعة المصرية، انظر ص٧٥ من الكتاب المذكور.

وهو يحب ذلك ويرضى به ويرضى عـن أَهله ويفرح بتوبة من عاد إليه، كما أن في ذلك لذة [العبد][١] وسعادته ونعيمه.

وقـد بينت بعض معنـى محبة الله لـذلك وفـرحـه به فـي غير هـذا الموضع[٢]، فليس في الكائنات ما يسكـن العبد إليه ويطمئن به ويتنعم بالتـوجه إليه إلا الله سبحـانه، ومن عبد غيـر الله وإن أَحبه وحصل لـه به مودة فـي الحياة الـدنيا ونـوع من اللذة فهـو مفسد لصـاحبه أَعظـم من مفسدة التذاذ آكل الطعـام المسموم: ﴿لو كان فيهما آلهـة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون﴾ [الأنبياء/ ٢٢]. فإن قوامهما بأن تَأْلَهَ الإله الحق؛ فلو كان فيهما آلهة غير الله لم يكن إلهاً حقاً، إذ الله لاسمي له ولا مثـل، فكانت تفسـد لانتفاء [مـا به][٣] صلاحهـا، هذا مـن جهة الإلهيـة، وأَمـا من جهـة الـربوبيـة فشـيء آخر كمـا يقـرره في مـوضعـه المتكلمون.

حاجة العبد إلى عبادة الله:

واعلم أن فقر العبد إلى [..][٤] أن يعبد الله لايشرك بـه شيئاً، ليس له

---

(١) في (ب) السعيد. والمثبت من (أ) و(ف) وهو الصحيح.

(٢) لعل ابن تيميـة رحمه الله يشيـر إلى رسالتـه (قاعـدة في المحبة) وهـي رسالـة جليلة الشأن في بـابها، وقـد طبعت ضمن المجلـد الثانـي من مجموعـة رسائل ابـن تيمية بتحقيق د/ محمد رشاد سالم، ثم طبعت مستقلة.

(٣) ليست في (ب).

(٤) في (ب) زيادة (الله) وكذلك في (ف).

نظير فيقاس به، لكـن يشبه من بعض الوجوه حاجـة الجسد إلى الطعام والشراب وبينهما فروق كثيرة.

فإن حقيقـة العبد قلبـه وروحـه، وهي لا صـلاح لها إلا بإلهها الله الذي لا إلـه إلا هو؛ فـلا تطمئن في الـدنيا إلا بـذكره، فهـي كادحـة إليه كدحاً فملاقيتـه ولابد لها من لقائه، ولا صلاح لهـا إلا بلقائه، ولو حصل للعبد لذات أو سـرور بغير الله فلا يدوم ذلك، بل ينتقل مـن نوع إلى نوع ومن شخص إلـى شخص، ويتنعم بهـذا في وقت وفي بعـض الأَحوال، وتارة أخرى يكون ذلك الذي يتنعم به والتذ غير منعم له ولا ملتذ له؛ بل قد [يؤذيه][1] اتصاله [به][2] ووجوده عنده [ويضره][3] ذلك.

وأَما إلهـه فلابد لـه منه في كل حـال وكل وقت، وأَينما كـان فهو معـه، ولهـذا؛ قـال إمـامنـا الخليل عليـه الصـلاة والسـلام: ﴿لا أُحـب الآفلين﴾ [الأنعام/ ٧٦]. وكـان أَعظم آيـة في القـرآن: ﴿الله لا إله إلا هـو الحي القيـوم...﴾ [البقرة/ ٢٥٥]. وقـد بسط الكـلام في معنـى القيـوم في موضع آخر[4] ، وبيّنا أَنه الـدائم الباقي الذي لايـزول ولا يعدم ولا يفنى بوجه من الوجوه.

---

(١) في (ب) يورثه. والمثبت من (أ) و(ف).

(٢) ليست في (ب).

(٣) في (ب) يضر.

(٤) لم أجد ما يشير إليه المؤلف رحمه الله فيما تيسر لي الاطلاع عليه من كتبه.

واعلم أَن هذا الوجه مبني على أَصلين:

أَحدهما : أن نفس الإيمان بالله وعبادته ومحبتـه وإجلاله هو غذاء الإنسان وقـوته وصلاحـه وقوامه كمـا عليه أَهل الإيمان، وكمـا دل عليه القرآن، لاكمـا يقول من يعتقـد أَهل الكلام ونحـوهم أَن عبادتـه تكليف ومشقـة وخـلاف مقصـود القلب؛ لمجـرد الامتحـان والاختبـار، أَو لأَجل التعويض بالأَجر كمـا يقوله المعتزلة وغيرهم، فإنـه وإن كان في الأَعمال الصالحة ما هو على خلاف هـوى النفس، والله سبحانه يأجر العبد على الأَعمال المأمور بهـا مع المشقة كما قال: ﴿ذلك بـأَنهم لايصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة... الآية﴾ [التوبة/ ١٢٠]. وقال ﷺ لعائشـة: «أَجرك على قدر نصبك»[1].

فليس ذلـك هو المقصـود الأَول بالأَمـر الشرعـي وإنما وقع ضمنـاً وتبعاً لأَسبـاب ليس هذا موضعهـا، وهذا يفسر في مـوضعه[2]؛ ولهذا لـم يجئ فـي الكتـاب والسنـة وكلام السلـف إطـلاق القـول على الإيمـان والعمـل الصـالح أَنـه تكليف، كمـا يطلق ذلـك كثيـر مـن المتكلمـة

(١) نصبك:النصب: التعب؛ والمعنى أن الثـواب في العبادة يكثر بكثـرة النصب والنفقة، والمراد النصـب الذي لا يذمـه الشرع وكذا النفقـة. قالـه النووي، انظر شـرح صحيح مسلم ٨/ ١٥٢ ــ ١٥٣، وفتح الباري ٣/ ٧١٥. وهـذا الحديـث أصله في البخـاري في عـدة مـواضع منهـا: ١/ ٤٧٧ رقم (٢٩٤)، ٣/ ٧١٥ رقم (١٧٨٧)، وفـي مسلم ٢/ ٨٧٦ ـ ٨٧٧. وهـذه الرواية أخرجهـا الدارقطني في سننه ٢/ ٢٨٦، والحـاكم في المستدرك ١/ ٤٧١ـ٤٧٢.

(٢) انظر ما يحيل إليه المؤلف رحمه الله في الفتاوى ١٠/ ١٢٢ـ١٢٤، ٢٥/ ١٨١ـ١٨٣.

والمتفقهة، وإنما جاء في القرآن ذكر التكليف في موضع النفي كقوله: ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ [البقرة/ ٢٨٦]. ﴿لا تكلف إلا نفسك﴾ [النساء/ ٨٤]. ﴿لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها﴾ [الطلاق/ ٧].

أي وإن وقع في الأَمر تكليف فلا يكلف إلا قدر الوسع، لا أنه يسمي جميع الشريعة تكليفاً، مع أن غالبها قرة العيون وسرور القلوب ولذات الأَرواح وكمال النعيم، وذلك لإرادة وجه الله، والإنابة إليه، وذكره، وتوجه الوجه إليه، فهو الإله الحق الذي تطمئن إليه القلوب ولا يقوم غيره مقامه في ذلك أَبداً ﴿فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميّاً﴾ [مريم/ ٦٥]. فهذا أَصل.

الأَصل الثاني: أَن النعيم في الدار الآخرة أَيضاً به[١] مثل النظر إليه، لا كما تزعم طائفة من أَهل الكلام ونحوهم أَنه لانعيم ولا لذة إلا بالمخلوق من المأكول والمشروب والمنكوح ونحو ذلك، بل اللذة والنعيم التام في حظهم من الخالق سبحانه وتعالى كما في الدعاء المأثور: «أَسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة»[٢] رواه النسائي وغيره[٣].

(١) به: أي بالله.

(٢) من هنا إلى قوله فيما يأتي: «وقد ورد من الأحاديث والآثار ما يصدق هذا» ساقط من الطبعة المصرية، وهو ما يزيد على نصف صحيفة. انظر ص٧٩ من الكتاب المذكور، وقد جعلت السقط بين قوسين.

(٣) رواه النسائي في السهو باب الدعاء بعد الذكر ٣/ ٤٧، وأحمد في المسند ٥/ ١٩١، وذكره الشيخ ناصر الدين الألباني في صحيح سنن النسائي رقم (١٢٣٧).

وفي صحيح مسلم وغيره عن صهيب عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا، [..][١] ويدخلنا الجنة، ويجرنا من النار، قال: فيكشف الحجاب فينظرون إليه سبحانه فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه وهو الزيادة»[٢].

فبين النبي ﷺ أنهم مع كمال تنعمهم بما أعطاهم الله في الجنة لم يعطهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه، وإنما يكون أحب إليهم؛ لأن تنعمهم به وتلذذهم به أعظم من التنعم والتلذذ بغيره، فإن اللذة تتبع الشعور بالمحبوب، فكل ما كان الشيء أحب إلى الإنسان [كان حصول لذته][٣] وتنعمه به أعظم، وقد روي: «إن يوم المزيد وهو يوم الجمعة من أيام الآخرة»[٤][٥].

---

(١) في (أ) زيادة (ويثقل موازيننا) وليست في صحيح مسلم ولا بقية النسخ.

(٢) رواه مسلم ١/ ١٦٣ رقم (٢٩٧ـ٢٩٨) في الإيمان باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى.

(٣) في (ب) كان حصوله لذته.

(٤) في (ب) و(ف): وروي أن يوم الجمعة يوم المزيد وهو يوم الجمعة من أيام الآخرة.

(٥) جاء ذلك في حديث طويل وفيه: «إن يوم الجمعة هو يوم المزيد وفيه يرى المؤمنون ربهم في الجنة». رواه الإمام الشافعي في مسنده ١٢٦ـ١٢٧، وأبو يعلى في مسنده ٧/ ٢٢٨ـ٢٢٩، وابن منده في الرد على الجهمية ص١٠١، والدارقطني في الرؤية ص١٧٢ وما بعدها، والآجري في الشريعة ص٢٦٥ من عدة طرق عن أنس، والطبراني في الأوسط: مجمع البحرين رقم (٩٤٤)، والبزار: كشف الأستار رقم =

وقد ورد من الأَحاديث والآثار ما يصدق هذا، ولهذا قال تعالى في حق الكفار: ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون. ثم إِنهم لصالوا الجحيم﴾ [المطففين/ ١٥، ١٦]. فعذاب الحجاب من أَعظم أَنواع العذاب، ولذة النظر إِلى وجهه أَعلى اللذات[١]، ولاتقوم حظوظهم من سائر المخلوقات مقام حظهم منه تعالى.

وهذان الأَصلان ثابتان في الكتاب والسنة وعليهما أَهل العلم والإِيمان، ويتكلم فيهما مشائخ الصوفية العارفون، وعليهما أَهل السنة والجماعة وعوام الأُمة، وذلك من فطرة الله التي فطر الناس عليها وقد يحتجون على من ينكرها بالنصوص والآثار تارة، وبالذوق والوجد أُخرى ـ إِذا أَنكر اللذة ـ فإِن ذوقها ووجدها ينفي إِنكارها، وقد يحتجون بالقياس [والأَمثال][٢] تارة وهي الأَقيسة العقلية.

= (٣٥١٩)، قال الهيثمي في إسناد الطبراني: رجاله ثقات. مجمع الزوائد ٢/ ١٦٣ـ١٦٤ وقال: رجال أبي يعلى ثقات رجال الصحيح، وإسناد البزار فيه خلاف. مجمع الزوائد ١٠/ ٤٢١. وأورده ابن القيم في حادي الأرواح ص٣٠٥، وقال: هذا حديث كبير عظيم الشأن رواه أئمة السنة وتلقوه بالقبول وجمل به الشافعي مسنده... ثم أورد طرقه.

(١) استدل الإمام الشافعي رحمه الله وغيره من الأَئمة بهذه الآية على رؤية المؤمنين ربهم. (انظر حادي الأرواح لابن القيم ص٢٨٤).

(٢) في (ب) و(ف) في الأمثال. والمثبت من (أ).

□ الوجـــه الثالث :

أَن المخلوق ليس عنـده للعبد نفع ولا ضـر، ولا عطاء ولا منع، ولا هدى ولا ضلال، ولا [نصر][١] ولا خذلان، ولا خفض ولا رفع، ولا عز ولا ذل؛ بل ربه هو الـذي خلقه ورزقه وبصّره وهداه وأَسبغ عليـه نعمه، فإذا مسـه الله بضر لم يكشفـه عنـه غيره، وإذا أَصـابه بنعمـة لم يـرفعها عنـه سواه، والعبد فـلا ينفعه[٢] ولا يضره إلا بإذن الله، وهـذا الوجه [أَظهـر من الأَول للعامة][٣] ولهذا خـوطبوا به فـي [القرآن][٤] أَكثر من الأَول؛ لكن إذا تدبّـر اللبيب طريقة القـرآن وجد أَن الله يدعـو عباده بهذا الـوجه إلى الأَول، فهذا الـوجه يقتضي التـوكل على الله والاستعـانة بـه [ودعائه][٥] ومسأَلته دون مـا سواه، ويقتضي أَيضاً محبـة الله وعبادته؛ لإحسـانه إلى عبـده وإسباغ نعمـه عليه وحـاجة العبـد إليـه في هذه النعـم، لكن إذا عبدوه وأَحبوه وتوكلوا عليه من هذا الوجه دخلوا في الوجه الأَول.

ونظيره في الدنيا من نـزل به بلاء عظيم أَو فاقة[٦] شديدة أَو خوف مقلق، فجعل يـدعو الله ويتضـرع إليه حتـى فتح له مـن لذيـذ مناجـاته وعظيم الإيمان به والإنـابة إليه ما كان أَحب إليه مـن تلك الحاجة التي

---

(١) في (ب) نصير.

(٢) كذا في المخطوطتين، وفي الفتاوى: «وأن العبد فلا ينفعه ولا يضره...» وهو الأصح.

(٣) في (ب) و (ف) أظهر للعامة من الأول.

(٤) ساقطة من (ب).

(٥) في (أ) و (ب) (والدعاء له) والمثبت من (ف) وهو الصحيح.

(٦) الفاقة: الفقر والحاجة، مختار الصحاح (فوق).

قصدها أَولاً، لكنه لم يكن يعرف ذلك أولاً حتى يقصده ويشتاق إليه.

والقرآن مملوء من ذكر حاجة العباد إلى الله دون ما سواه، ومن ذكر نعمائه عليهم، ومن ذكر ما وعدهم في الآخرة من صنوف النعيم واللذات، وليس عند المخلوق شيء من هذا، فهذا الوجه يحقق التوكل على الله والشكر له ومحبته على إحسانه.

□ الوجه الرابع :

أَن تعلق العبد بما سوى الله مضرة عليه إذا أَخذ منه القدر الزائد على حاجته في عبادة الله، فإنه إن نال من الطعام والشراب فوق حاجته؛ ضره وأَهلكه، وكذلك من النكاح واللباس، وإن أَحب شيئاً حباً تاماً بحيث يخالله؛ فلابد أَن يسأمه أَو يفارقه[1] ، وفي الأَثر المأثور: «أَحبب [من][2] شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك لاقيه، وكن كما شئت فكما تدين تُدان»[3].

واعلم أَن كل من أَحب شيئاً لغير الله فلابد أَن يضره محبوبه،

---

(١) من هنا إلى قوله فيما يأتي: (الوجه الخامس) ساقط من الطبعة المصرية، وهو ما يزيد على نصف صحيفة. انظر ص٨١ من الكتاب المذكور، وهو موجود في المخطوطتين وفي الفتاوى ١/ ٢٨ ـ ٢٩.

(٢) في (ب) ما.

(٣) لم أجده بهذا اللفظ، لكن جاء الشطر الأول منه في حديث رواه أبو نعيم في الحلية ٣/ ٢٠٢ عن علي رضي الله عنه، وجاء الشطر الأخير منه في حديث رواه عبدالرزاق في المصنف ١١/ ١٧٩ من حديث أبي قلابة مرسلاً.

ويكون ذلك سبباً لعذابه: «ولهذا كان الذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها في سبيل الله يمثل لأَحدهم كنزه يوم القيامة شجاعاً أَقرع يأخذ بلهزمتيه[١]، يقول: أَنا كنزك، أَنا مالك»[٢].

وكذلك نظائر هذا، وفي الحديث يقول الله يوم القيامة: «يا ابن آدم أليس عدلاً مني أن أولي كل رجل منكم ما كان يتولاه في الدنيا»[٣].

وأَصل التولي[٤] : الحب، فكل من [تولى شيئاً][٥] دون الله؛ ولاَّه الله [يوم القيامة][٦] ما تولى وأَصلاه جهنم وساءت مصيراً، فمن أَحب

---

(١) لهزمتيه: بكسر اللام وسكون الهاء بعدها زاي مكسورة، وقد فسر في الحديث بالشدقين، وقيل: هما العظمان الناتئان في اللحيين تحت الأذنين (فتح الباري ٣/ ٣١٧ ـ ٣١٨).

(٢) رواه البخاري في الزكاة باب إثم مانع الزكاة ٣/ ٣١٥ رقم(١٤٠٣)، ومسلم في الزكاة رقم (٩٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) لم أجد الحديث بهذا اللفظ، لكن أخرج الطبراني عن ابن مسعود وأبي موسى نحوه. انظر مجمع الزوائد ١٠/ ٣٤٠ـ٣٤٣، وأصل الحديث في البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة وأبي سعيد في حديث طويل وفيه (يحشر الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبع، فمنهم من يتبع الشمس ومنهم من يتبع القمر...) وفي رواية «إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن: تتبع كل أمة ما كانت تعبد...» انظر جامع الأصول ١٠/ ٤٤٠ـ٤٤٧.

(٤) في (أ) في الحاشية: ذكر أصل التولي.

(٥) في (ب) فكل من أحب شيئاً.

(٦) زيادة من (ب) و(ف).

شيئاً لغير الله فالضرر حاصل له إن وجد أو فقد، وإن فقد [عذب][١] بالفراق وتألم، وإن وجد فإنه يحصل له من الألم أكثر مما يحصل من اللذة، وهذا أمر معلوم بالاعتبار والاستقراء: كل من أحب شيئاً دون الله [لغير الله][٢] فإن مضرته أكثر من منفعته، فصارت المخلوقات وبالاً عليه إلاَّ الله، وهذا [يحقق][٣] معنى ما يروى عن النبي ﷺ أنه قال: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه» رواه الترمذي وغيره[٤].

□ الوجه الخامس :

أن اعتماده على المخلوق وتوكله عليه يوجب له الضرر من جهته، فإنه يخذل من تلك الجهة، وهذا أيضاً معلوم بالاعتبار [والاستقراء، فما علّق][٥] العبد رجاه وتوكله بغير الله إلا خاب من تلك الجهة، ولا استنصر بغير الله إلا خذل، وقد قال تعالى: ﴿واتخذوا

(١) في (أ) تعذب. والمثبت من (ب) و(ف).
(٢) ليست في (أ) وهي في (ب) و(ف).
(٣) ليست في (ب).
(٤) رواه الترمذي رقم (٢٣٢٢)، وابن ماجه رقم (٤١١٢)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال الترمذي: حديث حسن غريب، وحسنه الشيخ ناصر الدين في صحيح الجامع رقم (٣٤٠٨). قلت: المقصود بالملعون هنا من الدنيا هو ما فيها من الفواحش والمنكرات وما يصد عن الله وعن ذكره، وأما ما فيها مما أحله الله وأباحه من الطيبات والرزق الحلال إذا استمتع به المسلم وجعله معونة على طاعة الله وذكره؛ فلا يدخل في الوعيد بل هو مما يوالي ذكر الله. والله أعلم.
(٥) في (ب) واستقراء، ما علق.

من دون الله آلهـة ليكونـوا لهم عـزاً. كلا سيكفـرون بعبـادتهم ويكونـون عليهم ضداً﴾ [مريم/ ٨١، ٨٢].

وهـذان الـوجهان فـي المخلـوقات نظيـر العبـادة والاستعـانـة في الخالـق، فلما قال ﴿إيَّـاك نعبد وإيَّاك نستعيـن﴾ كان صلاح العبـد في عبادة الله واستعانته، وكان في عبادة ما سـواه واستعانته بما سواه مضرته وهلكته وفساده.

❑ الوجــه الســـادس :

أَن الله سبحـانه غني حميـد كـريم واحـد رحيم، فهو محسـن إلى عبده مع غنـاه عنه، يريد بـه الخير ويكشف عنه الضـر، لا لجلب منفعة إليه من العبـد ولا لدفع مضرة، بـل رحمة وإِحساناً، والعبـاد لا يتصور أَن يعملـوا إلا لحظـوظهم، فـأَكثـر مـا عنـدهم للعبـد أَن يحبـوه ويعظمـوه ويجلبوا له منفعة ويدفعوا عنه مضـرة ما، وإن كان ذلك أَيضاً من تيسير الله سبحانه، فإنهم لا يفعلون ذلـك إلا لحظوظهم من العبد، إذا لـم يكن العمل لله، فإنهم إذا أحبـوه طلبوا أن ينالـوا أَغراضهم من محبتـه، سواءً أَحبوه لجماله الباطن والظاهر.

فـإذا أَحبوا الأَنبيـاء والأَوليـاء وطلبـوا لقاءهـم فهم يحبـون التمتع برؤيتهم وسماع كـلامهم ونحو ذلك؛ وكذلك من أَحب إنسانـاً لشجاعته أَو رياسته أَو جمـاله أَو كرمه؛ فهو يحب أن ينال حظـه من تلك المحبة، ولـولا التذاذه بهـا لما أَحـب، وإن جلبوا لـه منفعة كخـدمة أو مـال، أو

دفعوا عنه مضرة كمرض وعدو ، ولو بالدعاء والثناء؛ فهم يطلبون العوض إذا لم يكن العمل لله، فأجناد الملوك وعبيد المالك وأجراء [الصانع][١] وأعوان الرئيس، كلهم إنما يسعون في نيل أغراضهم، لايعرج أكثرهم على قصد منفعة المخدوم؛ إلا أن يكون قد عُلِّم وأُدِّب من جهة أخرى، فيدخل ذلك في الجهة الدينية، أو يكون فيه طبع عدل وإحسان من باب المكافآت والرحمة، وإلَّا فالمقصود بالقصد الأول هو منفعة نفسه.

وهذا من حكمة الله تعالى التي أقام بها مصالح خلقه [إذ قسم][٢] بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا، ورفع بعضهم فوق بعض درجات، ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً.

إذا تبين هذا ظهر أن المخلوق لا يقصد منفعتك بالقصد الأول، بل إنما يقصد منفعته بك، وإن كان ذلك قد يكون عليك فيه ضرر إذا لم يراع العدل، فإذا دعوته فقد دعوت من ضره أقرب من نفعه، والرب سبحانه يريدك لك، ولمنفعتك بك، لاينتفع بك، وذلك منفعة لك بلا مضرة.

فتدبَّر هذا، فملاحظة هذا الوجه يمنعك أن ترجو المخلوق أو تطلب منه منفعة لك، فإنه لايريد ذلك بالقصد الأول، كما أنه لايقدر

---

(١) في (أ) الصناع. والمثبت من (ب) و(ف).

(٢) في (ب) وقسم.

عليه، ولا يحملك هذا على جفوة الناس وترك الإحسان إليهم واحتمال أذاهم، بل أَحسن إليهم لله لا لرجاهم، وكما لا تخفهم فلا ترجهم، وخف الله في الناس ولا تخف الناس [في الله](١) ، وارج الله في الناس ولا ترج الناس في الله، وكن ممن قال الله [فيه](٢): ﴿وسيجنبها الأَتقى. الذي يؤتي ماله يتزكى. وما لأَحد عنده من نعمة تُجزى . إلاَّ ابتغاء وجه ربه الأَعلى. ولسوف يرضى﴾ [الليل/١٧ ـ ٢١]. وقال فيه: ﴿إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً﴾ [الإنسان/٩].

❑ **الوجه السابع :**

أَن غالب الخلق يطلبون إدراك حاجتهم بك وإن كان ذلك ضرر عليك، فإن صاحب الحاجة أَعمى لايعرف إلاَّ قضاءها.

❑ **الوجه الثامن :**

أَنه إذا أَصابك مضرة كالخوف والجوع والمرض؛ فإن الخلق لايقدرون على دفعها إلا بإذن الله، ولايقصدون دفعها إلا لغرض لهم في ذلك.

---

(١) ساقطة من (ب).

(٢) زيادة من (ب) و(ف).

❑ **الوجه التاسع :**

أَن الخلق لو اجتهدوا أَن ينفعوك لم ينفعوك إلا بأمر [قد][١] كتبه الله لك، ولو اجتهدوا أَن يضروك لم يضروك إلا بأمر قد كتبه الله عليك، فهم لاينفعونك إلا بإذن الله، ولا يضرونك إلا بإذن الله، فلا تُعلِّق بهم رجاءك ولا خوفك، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن إن الكافرون إلا في غرور. أَمَّنْ هذا الذي يرزقكم إنْ أَمسك رزقه بل لَجُّوا في عُتُوٍّ ونفور﴾ [تبارك/ ٢٠ ـ ٢١].

والنصر يتضمن رفع الضرر، والرزق يتضمن حصول المنفعة، قال تعالى: ﴿فليعبدوا رب هذا البيت. الذي أَطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾ [قريش/٣، ٤]. وقال: ﴿أو لم نمكن لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدُنَّا﴾ [القصص/٥٧]. وقال الخليل عليه السلام: ﴿رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أَهله من الثمرات... الآية﴾ [البقرة/ ١٢٦]. وقال النبي ﷺ: «هل ترزقون وتنصرون إلا بضعفائكم، بدعائهم وصلاتهم وإخلاصهم»[٢].

---

(١) ليست في (ب).

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (٢٨٩٦) ٦/ ١٠٤ في الجهاد باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب، عن سعد بن أبي وقاص، دون ذكر الإخلاص؛ وهذه الرواية للنسائي في سننه ٦/ ٣٧ـ٣٨ في الجهاد باب الاستنصار بالضعيف.

فصـــــــل

جماع هذا أَنك إذا كنت غير عالم [بمصلحتك][١] ولا قادر عليها ولا مريد لهـا كما ينبغي؛ فغيرك من الناس أَولى أَلَّا يكـون عالماً بمصلحتك ولا قادراً عليها ولا مريداً [لها][٢]، والله سبحانه هو يعلم ولا تعلم ويقدر ولا تقدر ويعطيك مـن فضلـه العظيم، كمـا فـي الحـديث [الصحيـح][٣] حـديث الاستخـارة: «اللهم إني أَستخيـرك بعلمك، وأَستقـدرك بقدرتك، وأَسـألك من فضلـك العظيم، فـإنك تقـدر ولا أَقـدر، وتعلـم ولا أَعلم، وأَنـت عـلاّم الغيوب»[٤].

□ □ □

---

(١) في (أ) لمصلحتك.

(٢) ساقطة من (ب).

(٣) ليست في (ب) و(ف).

(٤) رواه البخاري في صحيحه ١١/ ١٨٧ رقم (٦٣٨٢) في الدعوات باب الدعاء عند الاستخارة، من حديث جابر رضي الله عنه.

فصـــــل
(وهو مثل المقدمة لهذا الذي أمامه)

وهو أن كل إنسان فهو حارث همـام، حساس متحرك بالإرادة، بل كل حي فهو كذلك له علم وعمل بإرادته؛ والإرادة هي المشيئة والاختيار، ولابد في العمل الإرادي والاختياري من مراد هـو المطلوب، ولا يحصل المراد إلا بأسباب ووسائل تحصله، فإن حصل بفعل العبـد فلابد من قدرة وقوة، وإن كان من خـارج فلابد من فاعل غيـره، وإن كان منه ومن الخارج فـلابد من الأسباب كالآلات ونحو ذلك.

فلابد لكل حي من إرادة، ولابد لكل مـريد من عون يحصل به مراده، فصار العبـد مجبولاً على أن يقصد شيئاً ويريده، ويستعيـن بشيء ويعتمد عليـه في تحصيل مـراده، هـذا أمر حتـم لازم ضروري فـي حق كل إنسـان يجده [من][1] نفسه.

لكن المراد والمستعان علـى قسمين: [منه ما يُراد لغيره، ومنـه ما يراد لنفسه][2] والمستعان منه مـا هو المستعان نفسه ومنه مـا هو تبع للمستعان وآلة لـه، فمن المرادات مـا يكون هو الغـاية المطلـوب، فهو الذي يـذل له الطالب ويحبه وهو الإله المعبود.

---

(١) في (ب) في.

(٢) ما بين القوسين ساقط من (ب).

ومنه ما يراد لغيره بحيث يكون المراد هو ذلك الغير فهذا مراد بالغرض.

ومن المستعان ما يكون هو الغاية التي يعتمد العبد عليه ويتوكل عليه ويعتضد به، ليس عنده فوقه غاية في الاستعانة.

ومنه ما يكون تبعاً لغيره بمنزلة الأعضاء [من][1] القلب، والمال مع المالك، والآلات مع الصانع.

فإذا تدبَّر الإنسان حال نفسه وحال جميع الناس وجدهم لاينفكون عن هذين الأمرين؛ لابد للنفس من شيء تطمئن إليه وتنتهي إليه محبتها هو إلهها، ولابد لها من شيء تثق به وتعتمد عليه في نيل مطلوبها هو مستعانها سواء كان ذلك هو الله أو غيره، وإذا كان فقد يكون عاماً وهو الكفر كمن عبد غير الله مطلقاً، وسأل غير الله مطلقاً، مثل: عباد الشمس والقمر والكواكب وغير ذلك، الذين يطلبون منهم الحاجات ويفزعون إليهم في النوائب.

وقد يكون خاصاً في المسلمين مثل: من غلب عليه حب المال، أو حب شخص، أو حب الرياسة، حتى صار عبد ذلك، كما قال ﷺ: «تعس[2] عبدالدرهم، تعس عبدالدينار، تعس عبدالقطيفة[3]، تعس

(١) في (ب) مع.
(٢) تعس: دعاء عليه بالهلاك.
(٣) القطيفة: كساء له خمل.

عبدالخميصة[١]، إنْ أُعطي رضي وإن منع سخط، تعس وانتكس[٢]، وإذا شيك فلا انتقش»[٣][رواه البخاري][٤][٥].

وكذلك من غلب عليه الثقة بجاهه وماله بحيث يكون عنده مخدومه من الرؤساء ونحوهم أَو خادمه من الأَعوان والأَجناد ونحوهم، أَو أَصدقائه أَو أَمواله، هي التي تجلب المنفعة الفلانية وتدفع المضرة الفلانية، فهو معتمد عليها ومستعين بها، والمستعان هو مدعو ومسؤول، وما أَكثر ما يتلازم العبادة والاستعانة؛ فمن اعتمد القلب عليه في رزقه ونصره ونفعه وضره؛ خضع له وذلّ وانقاد وأَحبه من هذه الجهة، وإن لم يحبه لذاته، لكن قد يغلب عليه الحال حتى يحبه لذاته وينسى مقصوده منه، كما يصيب كثيراً ممن يحب المال، أَويحب من يحصل له به العزوالسلطان.

وأَما من أَحبه القلب وأَراده وقصده فقد لايستعينه ويعتمد عليه إلا إذا استشعر قدرته على تحصيل مطلوبه، كاستشعار المحب قدرة المحبوب على وصله، فإذا استشعر قدرته على تحصيل مطلوبه؛ استعانه وإلا فلا.

---

(١) الخميصة: ثياب خز أو صوف معلمة.

(٢) انتكس: الانتكاس: الانقلاب على الرأس، وهذا دعاء عليه أيضاً بالخيبة ؛لأَن من انتكس في أمره فقد خاب وخسر.

(٣) الانتقاش: إخراج الشوكة من الجسم. (انظر شرح الكلمات الغريبة في هذا الحديث في جامع الأُصول لابن الأثير ٩/ ٤٩٥).

(٤) ليست في (ب).

(٥) في الجهاد باب الحراسة في الغزو في سبيل الله ٦/ ٩٥-٩٦، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فالأقسام ثلاثة: قد يكون محبوباً غير مستعان، وقد يكون مستعاناً غير محبوب، وقد يجتمع فيه الأمران.

فإذا عُلِمَ أن العبد لابد لـه في كل وقت وحال من منتهى يطلبه هو إلهه، ومنتهى يطلب منه هو مستعانه، وذلك هو صمده الذي يصمد إليه في استعانته وعبادته.

تبيَّن أَن قوله: ﴿إِيَّاكَ نعبد وإِياك نستعين﴾ [الفاتحة/ ٥] كلام جامع [محيط][1] أولاً، وآخراً لا يخرج عنه شيء، فصارت الأقسام أربعة:

إما أن يعبد غير الله ويستعينه وإن كان مسلماً (فالشرك في هذه الأُمة أَخفى من دبيب النمل)[2].

وإما أَن يعبده ويستعين غيره، مثل كثير من أَهل [العبادة][3] الذين يقصدون طاعة الله ورسوله وعبادته وحده لاشريك له، وتخضع قلوبهم

(١) زيادة في (ب) و (ف).

(٢) جزء من حديث رواه أحمد في المسند ٤/ ٣٠٣، والطبراني في الكبير وفي الأوسط كما في مجمع الزوائد ١٠/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤ من طريق أبي علي الكاهلي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال المنذري في الترغيب (١/ ٧٠): رواية أبي علي محتج بهم في الصحيح وأبو علي وثقه ابن حبان ولم أر أحداً جرحه، وكذا قال الهيثمي في مجمع الزوائد، وحسنه الشيخ ناصر الدين الألباني في صحيح الترغيب رقم (٣٣).

(٣) في (ب) و (ف) : الدين.

لمن يستشعرون نصرهم ورزقهم وهدايتهم من جهة، من الملوك والأغنياء والمشائخ.

وإما أن يستعينه وإن عبد غيره مثل كثير من ذوي الأحوال وذوي القدرة والسلطان الباطن أو الظاهر، وأهل الكشف والتأثير الذين يستعينونه ويعتمدون عليه ويسألونه ويلجأون إليه، لكن مقصودهم غير ما أمر الله به ورسوله وغير اتباع دينه وشريعته التي بعث بها رسوله.

والقسم الرابع: الذين لايعبدون إلا إيَّاه [ولا يستعينون إلا إيَّاه][١] وهذا القسم الرباعي قد ذكر فيما بعد أيضاً، لكنه تارة يكون بحسب العبادة والاستعانة، وتارة يكون بحسب المعبود والمستعان، فهنا هو بحسب المعبود والمستعان، لبيان أنه لابد لكل عبد من معبود مستعان، وفيما بعد بحسب عبادة الله واستعانته، فإن الناس [فيها][٢] على أربعة أقسام[٣].

---

(١) ساقط من (ب).

(٢) ليست في (أ) وهي في (ب) و(ف).

(٣) نهاية ما في الجزء الأول من الفتاوى من هذه الرسالة، انظر ١/ ٣٦.

فصل في الفاتحة[١]

وأما حديث فاتحة الكتاب فقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «يقول الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، نصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: «الحمد لله رب العالمين» قال الله: حمدني عبدي، وإذا قال: «الرحمن الرحيم» قال الله: أثنى عليَّ عبدي، وإذا قال: «مالك يوم الدِّين» قال الله: مجدَّني عبدي، وإذا قال: «إياك نعبد وإيَّاك نستعين» قال: هذه الآية بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: «اهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين أَنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين» قال: هؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل»[٢].

وثبت في صحيح مسلم عن ابن عباس قال: «بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ، سمع نقيضاً من فوقه فرفع رأسه فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم ولم يفتح قط إلا اليوم فنزل منه ملك فقال: هذا ملك نزل إلى الأَرض ولم ينزل قط إلا اليوم فسلم، وقال: أَبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي

(١) هذا الفصل بتمامه ليس في المخطوطتين، وقد ذكر محقق الطبعة المصرية ص٩١ أنه غير موجود في المخطوطة التي اعتمد عليها في التحقيق، وقد أثبته هنا من الفتاوى ١٤/ ٤ـ٥ تتميماً للفائدة، حيث إن كلام شيخ الإسلام رحمه الله هنا حول فاتحة الكتاب.

(٢) رواه مسلم رقم (٣٩٥)، من حديث أبي هريرة.

قبلك، فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف فيها إلا أعطيته»[١] وفي بعض الأَحاديث: «أن فاتحة الكتاب أعطيتها من كنز تحت العرش»[٢].

□ □ □

(١) رواه مسلم ١/ ٥٥٤، عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) جاء ذلك في أحاديث منها ما رواه إسحاق بن راهويه في مسنده عن علي رضي الله عنه، وما رواه ابن الضريس في فضائل القرآن ص١٣٦ عن أنس رضي الله عنه، وانظر الدر المنثور ١/ ١٦.

فصل في الفاتحة[1]

قال الله تعالى في أم القرآن والسبع المثاني والقرآن العظيم: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ [الفاتحة/ ٥]. وهذه السورة هي أم القرآن، وهي فاتحة الكتاب، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم، وهي الشافية، وهي الواجبة في الصلوات لا صلاة إلا بها، وهي الكافية تكفي من غيرها ولا يكفي غيرها منها.

[والصلاة][2] أفضل الأعمال وهي مؤلفة من كلم طيب وعمل صالح، فأفضل كلمها الطيب وأوجبه أم القرآن، وأفضل عملها الصالح وأوجبه السجود، كما جمع بين الأمرين في أول سورة أنزلها على رسوله، حيث افتتحها بقوله: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ [سورة العلق/ ١]. وختمها بقوله: ﴿واسجد واقترب﴾ [العلق/ ١٩]. فوضعت الصلاة على ذلك أولها القراءة وآخرها السجود.

ولهذا قال سبحانه في صلاة الخوف: ﴿فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم﴾ [النساء/ ١٠٢]. والمراد بالسجود: الركعة التي يفعلونها وحدهم بعد مفارقتهم للإمام، وما قبل القراءة من تكبير واستفتاح واستعاذة هي

(١) من بداية هذا الفصل إلى نهاية الرسالة نقله في الفتاوى إلى قسم التفسير ١٤/ ٥ـ٣٦.

(٢) في (ب) الصلوات.

تحريم للصلاة ومقدمة لما بعده، أول ما يبتدأ به لتقدمه، وما يفعل بعد السجود من قعود وتشهد فيه التحية لله والسلام على عباده الصالحين والدعاء والسلام على المخاطبين فهو تحليل للصلاة ومعقبة لما قبله، قال النبي ﷺ: «مفتاح الصلاة الطهور، وتحريمها التكبير، وتحليلها التسليم»[١].

ولهذا تنازع الناس[٢]: أيهما أفضل: كثرة الركوع والسجود، أو طول القيام، أو هما سواء؟ على ثلاثة أقوال عن أحمد وغيره، وكان الصحيح أنهما سواء، القيام فيه أفضل الأذكار، والسجود أفضل الأعمال؛ فاعتدلا.

ولهذا كانت صلاة رسول الله ﷺ معتدلة يجعل الأركان قريباً من السواء، إذا أطال القيام طولاً كثيراً كما كان يفعل في قيام الليل وصلاة الكسوف أطال معه الركوع والسجود، وإذا اقتصد فيه اقتصد في الركوع والسجود.

وأم الكتاب كما أنها القراءة الواجبة في الصلاة فهي أفضل سورة في القرآن، قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «لم ينزل في التوراة ولا

(١) رواه أبو داود رقم (٦١) في الطهارة باب فرض الوضوء، والترمذي رقم (٣) في الطهارة باب ما جاء في أن مفتاح الصلاة الطهور، عن علي رضي الله عنه، وقال الترمذي: هذا الحديث أصح شيء في هذا الباب وأحسن، وصححه الشيخ ناصر الألباني في صحيح سنن الترمذي رقم (٣).

(٢) كذا في المخطوطتين، وفي الفتاوى: تنازع العلماء.

الإنجيل ولا الزبور ولا القرآن مثلها، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته»[١].

وفضائلها كثيرة جداً، وقد جاء مأثوراً عن الحسن البصري رواه ابن أبي حاتم وغيره[٢] : ([أن الله][٣] أنزل مائة كتاب وأربعة كتب، جمع علمها في الأَربعة، [وجمع][٤] علم الأَربعة في القرآن، وجمع علم القرآن في المفصل، [وجمع][٥] علم المفصل في أم القرآن، [وجمع][٦] علم أم القرآن في هاتين الكلمتين الجامعتين ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾، وأَن علم الكتب المنزلة من السماء اجتمع في هاتين الكلمتين)[٧].

ولهذا ثبت في الحديث الصحيح، حديث قسمة الصلاة، أن الله تعالى يقول: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فنصفها لي

(١) رواه مالك في الموطأ ١/ ٨٣ من رواية أبي سعيد بن المعلا مرسلاً، ووصله الحافظ ابن عبدالبر في التمهيد ٢٠/ ٢١٨، وأخرجه الترمذي رقم [٢٨٧٥]، والحاكم ١/ ٥٥٧، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٢) كذا في المخطوطتين: (ابن أبي حاتم) وجاء في الفتاوى ١٤/ ٧، وفي الطبعة المصرية٩٥، ودقائق التفسير ١/ ١٧٦، والتفسير الكبير ٢/ ٣٠١: (ابن ماجه). وقد ذكره ابن القيم في تفسير الفاتحة ص٦١ بدون عزو، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/ ١٦ للبيهقي في شعب الإيمان ٥/ ٣٠٨ ولم أجده في مظانه في سنن ابن ماجه.

(٣) ليست في (ب).

(٤) و (٥) و (٦): في (ب) جميع.

(٧) كتب هنا في حاشية (أ) : فائدة ومطلب مهم.

ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: (الحمد لله رب العالمين) قال الله: حمدني عبدي، وإذا قال: (الرحمن الرحيم) قال الله: أثنى عليَّ عبدي، وإذا قال: (مالك يوم الدِّين) قال الله: مجدني عبدي، وفي رواية: فوَّض إليّ عبدي، وإذا قال: (إياك نعبد وإياك نستعين) قال: فهذه الآية بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل، [فإذا قال: (اهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) قال: هؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل][(١)]»[(٢)].

فقد ثبت بهذا النص أن السورة [قسمت][(٣)] بين الله وبين عبده، وأن هاتين الكلمتين مقسم السورة، فإياك نعبد مع ما قبله لله، وإياك نستعين مع ما بعده للعبد وله ما سأل. ولهذا قال من قال من السلف: نصفها ثناء ونصفها مسألة، فكل واحد من العبادة والاستعانة دعاء.

وإذا كان الله قد فرض علينا أن نناجيه وندعوه بهاتين الكلمتين في كل صلاة فمعلوم أن ذلك يقتضي أنه فرض علينا أن نعبده وأن نستعينه؛ إذ إيجاب القبول الذي هو إقرار واعتراف ودعاء وسؤال هو إيجاب لمعناه، ليس إيجاباً لمجرد لفظ لا معنى له، فإن هذا لا يجوز أن يقع، بل إيجاب ذلك أبلغ من [إيجاب][(٤)] مجرد العبادة والاستعانة، فإن ذلك قد يحصل

---

(١) زيادة من (ب) و (ف).

(٢) رواه مالك في الموطأ ١/ ٨٤ ــ ٨٥، ومسلم رقم (٣٩٥)، وأبو داود رقم (٨٢١)، والترمذي رقم (٢٩٥٣)، والنسائي ٢/ ١٠٥، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) في (ب) مقسمة.

(٤) ليست في (ب).

أصله بمجرد القلب، أو القلب والبدن، بل أوجب دعاء الله ومناجاته وتكليمه ومخاطبته بذلك، ليكون الواجب من ذلك كلاماً صورة ومعنى بالقلب وسائر الجسد.

وقد جمع بين هذين الأَصلين الجامعين إيجاباً وغير إيجاب في مواضع، كقوله في آخر سورة هود: ﴿فاعبده وتوكل عليه﴾ [هود/ ١٢٣]. وقول العبد الصالح شعيب عليه السلام: ﴿وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾ [هود/ ٨٨]. وقول إبراهيم والذين معه: ﴿ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير﴾ [الممتحنة/ ٤]. وقوله سبحانه إذ أمر رسوله أن يقول: ﴿كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب﴾ [الرعد/ ٣٠]. فأمر نبيه أن يقول: على الرحمن توكلت وإليه متاب، كما أمر بهما في قوله: ﴿فاعبده وتوكل عليه﴾ والأَمر له أمر لأُمته، وأمره بذلك في أم القرآن وفي غيرها لأُمته[١]؛ ليكون فعلهم [ذلك][٢] طاعة لله وامتثالاً لأَمره، لا تقدماً بين يدي الله ورسوله، ولهذا كان عامة ما يفعله نبينا ﷺ والخالصون من أمته من الأَدعية والعبادات وغيرها إنما هو بأمر من الله، بخلاف من يفعل ما لم يؤمر به وإن كان حسناً أو عفواً.

وهذا آخر الأَسباب الموجبة لفضله وفضل أمته على من سواهم،

---

(١) في هذه العبارة إجمال، ولعل الصحيح: وأمره بذلك في أُمِّ القرآن وفي غيرها أمر لأُمته.

(٢) زيادة من (ب).

وفضل الخالصين من أمته على المشوبين الذين شابوا ما جاء به بغيره، كالمنحرفين عن الصراط المستقيم، وإلى هذين الأَصلين كان النبي ﷺ يقصد في عبادته وأَذكاره ومناجاته، مثل قوله في الأُضحية: «اللهم منك ولك»[1] فإن قوله: (منك) هو معنى التوكل والاستعانة، وقوله: (لك) هو معنى العبادة.

ومثل قوله في قيامه من الليل: «اللهم لك أَسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، أَعوذ بعزتك لاإله إلاأنت، أن تضلني، أنت الحي الذي لايموت، والجن والإنس يموتون»[2] إلى أمثال ذلك.

---

(١) رواه أبو داود رقم (٢٧٩٥) من حديث جابر رضي الله عنه، وذكره الشيخ ناصر الألباني في ضعيف سنن أبي داود رقم (٢٧٩٥).

(٢) رواه البخاري ١٣/ ٣٨٠ رقم (٧٣٨٣)، ومسلم رقم (٢٧١٧)، عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

الإنسان بين العبادة والاستعانة

إذا تقرر هذا الأَصل فالإنسان في هذين الواجبين لا يخلو من أحوال أربعة هي القسمة الممكنة: إما أن يأتي [بهما](١)، وإما أن يأتي بالعبادة فقط، وإما أن يأتي بالاستعانة فقط، وإما أن يتركهما جميعاً. ولهذا كان الناس في هذه الأَقسام الأَربعة، بل أهل الديانات هم أهل هذه الأَقسام، وهم المقصودون هنا بالكلام:

❑ قسم يغلب عليه التألُّه :

قسم يغلب عليه قصد التأله لله، ومتابعة الأَوامر والنهي، والإخلاص لله تعالى، واتباع الشريعة في الخضوع لأَوامره وزواجره وكلماته [الدينيات](٢)، لكن يكون منقوصاً من جانب الاستعانة والتوكل فيكون إما عاجزاً وإما مفرطاً، وهو مغلوب [إما مع عدوه الباطن](٣) وإما مع عدوه الظاهر، وربما يكثر فيه الجزع مما يصيبه والحزن مما يفوته، وهذه حال كثير ممن يعرف شريعة الله وأمره، ويرى أنه متبع للشريعة وللعبادة الشرعية، ولا يعرف قضاءه وقدره وهو حسن القصد طالب للحق، لكنه غير عارف بالسبيل الموصلة والطريق المفضية.

---

(١) في (أ) بها، وفي (ب) و(ف) بهما. وهو الصحيح.

(٢) في (ف) الكونيات.

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ب).

□ قسم يغلب عليه الاستعانة والتوكل :

وقسم يغلب عليه قصد الاستعانة بالله والتوكل عليه، وإظهار الفقر والفاقة بين يديه، والخضوع لقضائه وقدره وكلماته الكونية، لكن [يكون][١] منقوصاً من جانب العبادة وإخلاص الدِّين لله، فلا يكون مقصوده أن يكون الدِّين كله لله، وإن كان مقصوده ذلك فلا يكون متبعاً لشريعة الله ومنهاجه، بل قصده نوع سلطان في العالم، إما سلطان قدرة وتأثير، وإما سلطان كشف [وإخبار][٢]، أو قصده طلب ما يريده ودفع ما يكرهه بأي طريق كان، أو مقصوده نوع عبادة وتأله بأي وجه كان، [وهمته][٣] في الاستعانة والتوكل المعينة [له][٤] على مقصوده، فيكون إما جاهلاً وإما ظالماً تاركاً لبعض ما أمره الله، [راكناً][٥] لبعض ما نهى الله عنه، وهذه حال كثير ممن يتأله ويتصوف ويتفقر، ويشهد قدرة الله وقضاءه، ولا يشهد أمر الله ونهيه، ويشهد قيام الأكوان بالله وفقرها إليه وإقامته لها، ولا يشهد [ما أمر به][٦]، ما الذي يحبه الله له، وما الذي نهاه الله عنه، ولهذا يكثر في هؤلاء من له كشف وتأثير وخرق [للعادة][٧] مع انحلال عن بعض الشريعة، ومخالفة

(١) ليست في (ب).
(٢) في (ب): كشف أخبار.
(٣) في (ب) و (ف) همته.
(٤) ليست في (أ) وأثبتها من (ب) و(ف).
(٥) في (ب) و (ف) راكباً.
(٦) في (ب) ولا يشهد ما أمر الله به.
(٧) في (ب) عادة.

لبعض الأَمـر، وإذا أوغل الرجـل منهم [دخل][(١)] في الإبـاحة والانحـلال، وربما صعد إلى فساد التوحيد فيجمع بين [الإباحة][(٢)] والحلول المقيد.

كمـا وقد وقع لكثيـر من الشيـوخ، ويوجـد في كـلام صاحب منـازل السائرين[(٣)(٤)] وغيـره ما يفضي إلـى ذلك، وقد يـدخل قـوله في الاتحـاد والحلول المطلق والقول بوحدة الوجـود، فيعتقد أن الله هو الوجود المطلق، فيقول كما قال صاحب الفتوحات المكية[(٥)] في أولها:

الرب حق [والعبد حق][(٦)] يا ليت شعري من المكلف

---

(١) ليست في (ب).
(٢) في (ب) الاتحاد، وفي (ف) فيخرج إلى الاتحاد والحلول.
(٣) هو محمد بن عبدالله الأنصاري أبو إسماعيـل الهروي المتوفى سنة ٤٨١، وكان إماماً في السنـة علـى تصـوف منه، انظـر تـرجمتـه فـي السير ١٨/ ٥٠٣، وكتـابـه (منـازل السـائرين) فـي السلـوك وفيـه تصوف، وقـد شـرحـه ابن القيـم في كتـابـه: «مـدارج السالكيـن بين منازل إيـاك نعبد وإياك نستعين» وقـد تعقب ابن القيم رحمـه الله في شرحـه ما فيـه من مخالفـة المنهج الحق؛ وانتقـده انتقاداً جيداً رصينـاً كما هـو دأبه رحمه الله في سائر تواليفه.
(٤) نسبه الـدكتور (الجلينـد) إلى أبي ذر الهروي عبـد بن أحمـد المتوفى سنـة ٤٣٤هـ. وهو خطأ ظاهر.
(٥) هـو محمد بـن علي بن محمـد بن أحمـد محيي الـدين أبـو بكر الطـائي الحـاتمي الأندلسي المـرسي المعروف بابـن العربي، شيخ الصـوفية وقدوة أهل الـوحدة «يعني القول بوحـدة الوجود، وهي من مقـالات أهل الضلال، نسأل الله العافيـة والسلامة»، مات سنـة ٦٣٨هـ. انظـر ترجمتـه في السيـر ٢٣/ ٤٨، وتأريخ الإسـلام وفيات ٦٣٨ ص٣٥٢، وانظر: مصرع التصوف، تحقيق عبدالرحمن الوكيل.
(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ) وموجود في بقية النسخ.

إن قلت عبد فذاك ميــت   أو قلـت رب أنّى يكـلف[١]

□ **قسم معرض عن الواجبين العبادة والاستعانة :**

وقسم ثالث معرض عن عبادة الله وعن الاستعانة [به][٢] جميعاً، وهم فريقان: أهل دين، وأَهـل دنيا، فأهل الدِّين منهم أهل الدين الفـاسد الذين يعبـدون غير الله، ويستعينـون غير الله بظنهم وهـواهم: ﴿إن يتبعـون إلا الظن وما تهوى الأَنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾[النجم/ ٢٣].

وأهل الـدنيا منهم الذيـن [يطلبون][٣] ما يشتهـون من العاجلـة بما يعتقدونه من الأَسباب.

واعلم أنـه [يجـب][٤] التفـريق بيـن من قـد يعـرض عـن عبـادة الله والاستعانة به، وبين من يعبد غيره ويستعين بسواه.

(١) الفتوحات المكية ١ ـ ٢ طبع بولاق، نقلاً عن الطبعة المصرية.
(٢) ليست في (ب).
(٣) في (ب) يظنون. وهو خطأ.
(٤) ساقطة من الطبعة المصرية. وهو خطأ.

فصـــــل(١)

(في معنى الحمد لله رب العالمين)

قـال الله تعـالـى فـي أول السـورة: ﴿الحمـد لله رب العـالميـن﴾ [الفاتحة/ ٢]. فبدأ [بهـذين](٢) الاسمين: الله والـرب، والله هو الإلـه المعبود، فهذا الاسم أَحق بـالعبادة، ولهذا يقال: الله أكبـر، الحمد لله، سبحان الله، لا إله إلا الله. والـرب هو المربـي الخالق الرازق النـاصر الهادي، وهـذا الاسم أَحق [باسم](٣) الاستعانة والمسألة.

ولهـذا يُقال: ﴿رب اغفـر لي ولوالـدي﴾(٤) [نوح/ ٢٨]. ﴿ربنا ظلمنـا أنفسنا وإن لـم تغفر لنـا وترحمنـا لنكونن مـن الخاسـرين﴾ [الأعراف/ ٢٣]. ﴿رب إني ظلمت نفسي فـاغفر لي﴾ [القصص/ ١٦]. ﴿ربنا اغفـر لنا ذنـوبنا وإسرافنا في أمرنا﴾ [آل عمران/ ١٤٧]. ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ [البقرة/ ٢٨٦].

فعـامة المسـألة والاستعـانة المشـروعـة باسم الـرب، فـالاسم الأَول يتضمن غاية العبد ومصيره ومنتهاه وما خلق لـه وما فيه صلاحه وكماله وهو

---

(١) في حاشية (أ) كتب: قف.

(٢) في (أ) بين هذين. وهو خطأ.

(٣) ساقطة من (أ) وأثبتها من (ب) و (ف).

(٤) من دعاء نوح عليه السلام.

عبادة الله.

والاسم الثاني: يتضمن خلق العبد ومبتداه وأنه يربيه ويتولاه، مع أن الثاني يدخل في الأول دخول الربوبية في الألوهية، والربوبية تستلزم الألوهية أيضاً.

والاسم [الثالث][١] الرحمن، كمال التعليقين [ووصف][٢] الحالين، فيه تتم سعادته في دنياه وأخراه، ولهذا قال: ﴿...وهم يكفرون بالرحمن. قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب﴾ [الرعد/ ٣٠]. فذكر هنا الأسماء الثلاثة (الرحمن) و(ربي) و(الإله)، وقال: ﴿عليه توكلت وإليه متاب﴾ كما ذكر الأسماء الثلاثة في أم القرآن لكن بدأ هنا باسم الله، ولهذا بدأ في السورة: بإياك نعبد، فقدم الاسم وما يتعلق به من العبادة؛ لأن تلك السورة فاتحة الكتاب وأم القرآن فقدم منها المقصود الذي هو العلة الغائية، فإنها [علة فاعلية للعلة الفاعلية][٣]، [وقد بسطت هذا المعنى][٤] في مواضع، في أول التفسير[٥]، وفي قاعدة المحبة والإرادة[٦].

(١) علقت في حاشية (أ) وكتب عليها: صح، وهي موجودة في (ب) وليست موجودة في (ف).
(٢) في (ف) بوصف.
(٣) اختلفت النسخ في هذه العبارة، فالمثبت من (أ)، وجاء في الفتاوى: فإنها علة فاعلية للعلة الغائية. وفي (ب): الذي هو العلة الغائية، فإنها علة فاعلية للعلة الفاعلية.
(٤) في (ب): وقد بسطت هذا والإرادة في ذلك.
(٥) لم أجد ما يشير إليه الشيخ رحمه الله في القسم المطبوع من تفسيره.
(٦) لشيخ الإسلام «قاعدة في المحبة» طبعت ضمن «جامع الرسائل لابن تيمية» المجموعة الثانية بتحقيق الدكتور محمد رشاد، وانظر ما يحيل إليه أيضاً في رسالته «الإرادة والأمر» ضمن مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية، طبع محمد على صبيح.

فصــــل

(إقرار الناس بتوحيد الربوبية أسبق وأكثر من الإقرار بتوحيد الإلهية)

ولما كـان علم النفـوس بحاجتهم وفقـرهم إلى الـرب قبل علمهم بحاجتهم إلى الإلـه المعبود وقصدهم لـدفع [حاجتهم][١] العاجلة قبل الآجلة؛ كـان إقرارهم بـالله من جهة ربوبيتـه [أسبق][٢] من إقـرارهم من جهة ألوهيتـه، وكان الدعاء لـه والاستعانة والتوكـل عليه [منهم][٣] أكثر من العبادة له والإنـابة إليه، ولهذا إنما بعث الرسل يـدعونهم إلى عبادة الله وحده لاشريك له الذي هو المقصود المستلزم للإقرار بالربوبية.

وقـد أخبـر عنهم أنهـم ﴿لئن سألتهـم من خلقهـم ليقـولن الله﴾، وأنهم (إذا مسهم الضـر ضل من يـدعون إلا إياه) وقـال: ﴿وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين...﴾[٤].

[فأخبـر أنهم مقرون بـربوبيته وأنهـم مخلصون له الـدِّين][٥] وإذا مسّهم الضر فـي دعائهم واستعانتهم، ثم يعـرضون عن عبادتـه في حال

(١) في (ب) حاجاتهم.

(٢) في (ب) اشتق وهو خطأ.

(٣) في (ب) فيهم، وكتب في الحاشية: لعله: منهم.

(٤) لقمان آية ٣٢. وقد جاءت في المخطـوطتين: (وإذا مسهم الضر دعوا الله مخلصين له الدين..) ولم ترد هكذا في القرآن وقد صححتها، كما صححت في الفتاوى.

(٥) ما بين القوسين ساقط من (ب).

حصول أغراضهم.

وكثير من المتكلمين إنما [يقررون][١] الوحدانية من جهة الربوبية، فأما الرسل فهم دعوا إليها من جهة الألوهية، وكذلك كثير من المتصوفة المتعبدة أرباب الأَحوال إنما توجههم إلى الله من جهة ربوبيته؛ لما يمدهم به في الباطن من الأحوال التي بها يتصرفون، وهؤلاء من جنس الملوك، وقد ذم الله في القرآن هذا الصنف كثيراً.

فتدبّر هذا فإنه ينكشف به أحوال قوم يتكلمون في الحقائق ويعملون عليها، وهم لعمري في نوع [من][٢] الحقائق الكونية القدرية الربوبية، لا في الحقائق الدينية الشرعية الإلهية، وقد تكلمت على هذا المعنى في مواضع متعددة[٣] ، وهو أصل عظيم يجب الاعتناء به. والله سبحانه أعلم.

---

(١) في (أ) يقرون. وما أثبته من (ب) وبقية النسخ وهو أصح.

(٢) ليست في (أ) وهي في (ب) و (ف).

(٣) انظر على سبيل المثال ١١/ ٢٥١ وما بعدها، ١٠/ ١٤٩ وما بعدها، ٨/ ٥٨ وما بعدها، من مجموع الفتاوى، وانظر الرسالة التدمرية، كلها لشيخ الإسلام.

فصـــــل

(الإنسان وجميع المخلوقات عبيد لله)

متصل بالذي قبله، وذلك أن الإنسان بل وجميع المخلوقات عباد لله تعالى فقراء إليه مماليك له، وهو ربهم ومليكهم وإلههم، لا إله إلا هو.

فالمخلوق ليس له من نفسه [شيء أصلاً، بل نفسه][١] وصفاته وأفعاله وما ينتفع به أو يستحقه وغير ذلك إنما هو من خلق الله، [والله][٢] رب ذلك كله ومليكه وبارئه وخالقه ومصوره؛ وإذا قلنا: ليس له من نفسه إلا العدم؛ فالعدم ليس هو شيئاً يفتقر إلى فاعل موجود، بل العدم ليس بشيء، وبقاؤه مشروط بعدم فعل الفاعل؛ لأن عدم الفاعل يوجبه ويقتضيه، كما يوجب الفاعل المفعول الموجود، بل قد يضاف عدم المعلول إلى عدم العلة وبينهما فرق.

وذلك المفعول الموجود إنما خلقه وأبدعه الفاعل، وليس المعدوم أبدعه عدم الفاعل، فإنه يفضي إلى التسلسل والدور؛ لأنه ليس اقتضاء أحد العدمين للآخر بأولى من العكس، فإنه ليس أحد العدمين مميزاً بحقيقة استوجب بها أن يكون فاعلاً، وإن كان يعقل أن

---

(١) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(٢) ساقطة من (ب).

عدم المقتضى أولى بعدم الأَثر من العكس، فهـذا لأَنه لما كان موجود المقتضى هو [المفيد][١] لوجود المقتضى؛ صار العقل يضيف عدمه إلى عدم إضافـة لزومية؛ لأن عدم الشيء إمـا أن يكون لعدم المقتضى [أو لوجود المـانع بعد قيام المقتضى][٢]، لا يتصور أن يكون العدم إلا [لأحد][٣] هاتين.

فلما كـان الشيء الـذي انعقد سبب وجـوده [بعدمـه][٤] المانع المنافـي، وهو أمر مـوجود، وتارة لا يكـون سببه قـد انعقد؛ صار عـدمه تارة ينسب إلى عدم مقتضيه، وتارة إلى وجـود منافيه، وهذا معنى قول المسلمين: «ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن».

فمشيئته [مـوجبة][٥] للكائنـات كلها، ومـا لم يَشَـأْهُ لم يكن، [إذ مشيئته هي الموجبة][٦]، فيلزم من انتفائها [..][٧] أن لايكون شيء حتى تكون مشيئته، لايكون شيء بدونهـا بحال، فليس لنا سبب يقتضي وجود شيء حتـى تكون مشيئتـه [..][٨] هي السبـب الكـامل، فمع وجـودهـا لامـانع ومع عـدمهـا لا مقتضى، ﴿مـا يفتح الله للنـاس مـن رحمة فـلا

(١) في (ب) المقيد. (٢) ما بين القوسين ساقط من (ب).
(٣) في (ب) لأجل. (٤) في (ب) يعوقه.
(٥) ليست في (ب).
(٦) جاءت العبارة التي بين القوسين في الفتاوى هكذا: إذ مشيئته هي الموجبة وحدها لا غيرها.
(٧) في (ب) زيادة: انتفاؤه.
(٨) جاء بعدها في الفتاوى: مانعة من وجوده، بل مشيئته هي السبب الكامل.

ممسك لها، وما يمسك فلا مرسل له من بعده﴾ [فاطر/ ٢]. ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله﴾ [يونس/ ١٠٧].

﴿قل أفرءيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون﴾ [الزمر/ ٣٨].

❑ الإنسان ليس له من نفسه خير أصلاً :

فإذاً عُرِفَ أن العبد ليس له من نفسه خير أصلاً، [بل][١] ما بنا من نعمة فمن الله، وإذا مسنا الضر فإليه نجأر، والخير كله بيديه، كما قال: ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ [النساء/ ٧٩]. وقال: ﴿أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنّى هذا قل هو من عند أنفسكم﴾ [آل عمران/ ١٦٥]. وقال النبي ﷺ في سيد الاستغفار الذي في صحيح البخاري: «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»[٢].

وقال في دعاء الاستفتاح الذي في صحيح مسلم: «لبيك وسعديك والخير بين يديك، والشر ليس إليك، تباركت وتعاليت»[٣].

(١) زيادة من (ب).

(٢) البخاري رقم (٦٣٠٦) فتح، عن شداد بن أوس رضي الله عنه.

(٣) مسلم رقم (٧٧١) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في حديث طويل.

□ **الشر إما موجود وإما معدوم :**

وذلك أن الشر إما أن يكون موجوداً أو معدوماً، فالمعدوم سواء كان عدم ذات، أو عدم صفة من صفات كمالها، أو فعل من أفعالها، مثل عدم الحياة أو العلم أو السمع أو البصر أو الكلام أو العقل، أو العمل الصالح على تنوع أصنافه، مثل: معرفة الله ومحبته وعبادته، والتوكل عليه، والإنابة إليه، ورجائه، وخشيته، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وغير ذلك من الأُمور المحمودة الباطنة والظاهرة من الأَقوال والأَفعال، فإن هذه الأُمور كلها خيرات وحسنات، وعدمها شر وسيئات، لكن هذا العدم ليس بشيء أصلاً حتى يكون له بادئ فاعل فيضاف إلى الله، وإنما هو من لوازم النفس التي هي حقيقة الإنسان قبل أن تخلق وبعد أن خلقت، فإنها قبل أن تخلق عدم مستلزم لهذا العدم.

وبعد أن خلقت وقد خلقت ضعيفة ناقصة [فيها نقص](١)، والنقص والضعف والعجز فإن هذه أُمور عدمية فأضيفت إلى النفس من باب إضافة عدم المعلول إلى عدم علته وعدم مقتضيه، وقد يكون من باب إضافته إلى وجود منافيه من وجه آخر سنبينه إن شاء الله.

□ **الشر لا ينسب إلى الله :**

ونكتة الأمر أن هذا الشر والسيئات العدمية ليست موجودة حتى يكون الله خالقها فإنه خالق كل شيء، والمعدومات تنسب تارة إلى

---

(١) في (ب): فيها النقص والضعف والعجز..

عدم فاعلها وتارة إلى وجود مانعها، فلا تنسب إليه هذه الشرور العدمية على الوجهين، أما الأول فلأنه الحق المبين، فلا يُقال: عدمت؛ لعدم فاعلها أو مقتضيها، وأما الثاني وهو وجود المانع فلأن المانع إنما يحتاج إليه إذا وجد المقتضى، ولو شاء فعلها لما منعه مانع، وهو سبحانه لا يمنع نفسه ما شاء فعله؛ بل هو فعال لما يشاء، ولكن قد يخلق هو سبباً مقتضياً ومانعاً، فإن جعل السبب تاماً لم يمنعه شيء، وإن لم يجعله تاماً [منع][1] المانع [لضعف][2] السبب وعدم إعانة الله له، فلا يعدم إلا لأنه لم يشاؤه، كما لايوجد أمر إلا لأنه شاءه.

وإنما تضاف هذه السيئات العدمية إلى العبد؛ لعدم السبب منه تارة، ولوجود المانع منه أخرى، أما عدم السبب فظاهر، فإنه ليس منه قوة ولا حول ولا خير ولا سبب خير أصالة، ولو كان منه شيء لكان سبباً فأضيف إليه لعدم السبب، ولأنه قد صدرت منه أفعال كان سبباً لها بإعانة الله له، فما لم يصدر منه كان لعدم السبب.

وأما وجود المانع المضاد له المنافي فلأن نفسه قد تضيق [وتضعف][3] وتعجز أن تجمع بين أفعال ممكنة في نفسها متنافية في حقه، فإذا اشتغل بسمع شيء أو بصره أو الكلام في شيء والنظر فيه أو إرادته، فإذا اشتغلت جوارحه بعمل كثير اشتغلت عن عمل آخر.

---

(١) في (ب) منعه.

(٢) في (ب) الضعيف.

(٣) ليست في (ب).

فصار قيام إحدى الصفات والأَفعال بـه مانعاً وصاداً عن آخر، وإن كان ذلـك خيراً لضيقـه وعجزه، والضيق والعجـز يعود إلـى عدم قـدرته فعاد إلى العدم الذي هو منـه، والعدم المحض ليس بشيء حتى يضاف إلى الله تعالـى، وأما إن كان الشر مـوجوداً كالألـم وسبب الألم؛ فينبغي أن يعـرف أن الشر المـوجود ليس شـراً على الإطـلاق، ولا شراً محضـاً، وإنمـا هو شـر في حق مـن تألم بـه، وقد تكـون مصائب قـوم عند قـوم فوائد، ولهذا جاء في الحديث الذي رويناه(١): «آمنت بالقدر خيره وشره وحلوه ومره»(٢).

وفي الحـديث الـذي رواه أبو داود: «لـو أنفقت مثل الأَرض ذهبـاً لما قبلـه منك حتى تـؤمن بالقـدر خيره وشـره، وتعلم أن ما أصـابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك»(٣).

فالخيـر والشر همـا بحسب العبـد المضاف إليـه، كالحلـو والمر،

---

(١) في المطبوعات (مسلسلاً) وليست في المخطوطتين.

(٢) أورده ابن قدامـة في لمعة الاعتقاد ص٢٢ غيـر معزو، ولم أجده بهـذا اللفظ، وأقرب ما رأيته فـي ذلك ما جاء في رواية لحـديث جبريل المشهور في سؤالـه عن الإسلام والإيمـان والإحسان، وجـاء فيه: «... الإيمـان أن تؤمن بـالله وملائكتـه وكتبه ورسلـه وبالقدر خيره وشره وحلوه ومره من الله».
هـذه الروايـة أوردهـا الهيثمي فـي مجمع الـزوائد ١/ ٤١ عن ابـن عمر، وقـال: رواه الطبراني ورجاله موثقون.

(٣) أبو داود رقم (٤٦٩٩) في السنـة باب القدر، وابن ماجـه رقم (٧٧) وصححه الشيخ ناصر في صحيح أبي داود رقم (٤٦٩٩).

سواء ذلك أن من لم يتألم بالشيء ليس في حقه شراً، ومن تنعم به فهو في حقه خير، كما كان النبي ﷺ يُعَلِّمُ من قص عليه أخوه رؤيا أن يقول: «خيراً تلقاه، وشراً توقاه، خير لنا وشر لأعدائنا»[١].

فإنه إذا أصاب العدو شر يَسُرُّ [قلب][٢] عدوه؛ فهو خير لهذا وشر لهذا، ومن لم يكن له ولياً ولا عدواً فليس في حقه لا خيراً ولا شراً، وليس في مخلوقات الله سبحانه ما يؤلم الخلق كلهم دائماً، بل ولا ما يؤلم جمهورهم [دائماً، بل مخلوقاته إما منعمة لهم ولجمهورهم][٣] في أغلب الأوقات، كالشمس والعافية.

فلم يكن في الموجودات التي خلقها الله ما هو شر مطلقاً عاماً، فعلم أن الشر المخلوق الموجود شر مقيد خاص، وفيه وجه آخر هو به خير وحسن وهو أغلب وجهيه، كما قال تعالى: ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه﴾ [السجدة/٧]. وقال تعالى: ﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾ [النمل/٨٨]. وقوله تعالى: ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ [الحجر/٨٥]. وقال تعالى: ﴿ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً﴾ [آل عمران/١٩١].

---

(١) رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة رقم (٧٢٧). قال محققه: إسناده ضعيف جداً.
(٢) في (ب) قلوب.
(٣) ما بين القوسين ساقط من (ب).

□ لم يخلق الله شيئاً إلا لحكمة :

وقد علم المسلمون أن الله لم يخلق شيئاً إلا لحكمة، فتلك الحكمةَ وَجْهُ حُسْنِهِ وخيره، ولا يكون في المخلوقات شر محض لا خير فيه ولا [فائدة][1] فيه بوجه، وبهذا يظهر معنى قوله ﷺ: «... والشر ليس إليك»[2] .

وكون الشر وحده لم يضف إلى الله، بل إما بطرق العموم، أو يضاف إلى السبب أو يحذف فاعله، فهذا الشر الموجود الخاص المقيد سببه إما عدم وإما وجود؛ فالعدم مثل عدم [شرط][3] وجزء سبب، إذ لايكون العدم سببه عدماً محضاً، فإن العدم المحض لايكون سبباً تاماً لوجود، ولكن يكون سبب الخير واللذة قد انعقد ولا يحصل الشرط فيقع الألم، وذلك مثل عدم فعل الواجبات الذي هو سبب [الذم والعقاب، ومثل عدم العلم الذي هو سبب ألم الجهل][4]، وعدم السمع والبصر والنطق الذي هو سبب الألم[5] بالعمى والصم والبكم، وعدم الصحة والقوة الذي هو سبب الألم بالمرض والضعف.

---

(١) في (ب) زيادة: ولا معنى فائدة.

(٢) جزء من حديث طويل تقدم تخريجه ص٧٢.

(٣) ليست في (ب).

(٤) ما بين القوسين ساقط من (ب).

(٥) في (ب) ألم الجهل وعدم السمع والبصر والنطق الذي هو سبب الألم بالعمى.

فهـذه المـواضع ونحـوهـا يكون الشـر أيضـاً مضـافـاً إلى العـدم المضاف إلـى العبد، حتى يتحقـق قول الخليل عليـه الصلاة والسـلام: ﴿وإذا مـرضت فهـو يشفين﴾ [الشعراء/ ٨٠]. فإن المـرض وإن كان ألمـاً موجوداً فنسبة ضعف القوة وانتفاء الصحة المـوجودة ـ وذلك عدم ـ هو من الإنسـان المعدوم نفسه، ويتحقق قـول الحق: ﴿.. وما أصـابك من سيئة فمن نفسك﴾ [النساء/ ٧٩]. وقوله: ﴿قل هـو من عند أنفسكم﴾ [آل عمران/ ١٦٥]. ونحو ذلك فيما كان سببه عدم فعل الواجب.

وكــذلك [قــول][١] الصحــابـي: «وإن يكن خطـأ فمنـي ومـن الشيطان»[٢].

تبين لك أن المحرمات[٣] جميعها من الكفر والفسوق والعصيان، إنما يفعلها العبـد [بجهله][٤] أو لحاجته، فـإنه إذا كان عالمـاً بمضرتها وهو غنـي عنها امتنع أن يفعلهـا، والجهل أصله عـدم، والحاجـة أصلها العدم، فأصل وقوع السيئات منه هـو عدم العلم والغنى، ولهذا يقول في القـرآن: ﴿.. ما كـانوا يستطيعـون السمع﴾ [هود/ ٢٠]. ﴿..أفلم تكـونوا

(١) في (أ) أقوال الصحابة. وهو خطأ والمثبت من (ب) و (ف).

(٢) جـزء من كلام لعبـدالله بن مسعـود رضي الله عنـه، رواه أحمد رقـم (٤٠٩٩) تحقيق أحمد شاكر، وأبو داود رقم (٢١١٦)، وصححه الشيخ أحمد شاكر.

(٣) في (أ) المخلوقات. وكتب في الحاشية: عند: المحرمات.

(٤) في (أ) بجهله. والمثبت من (ب) و (ف) وهو أصح.

تعقلون﴾(١)، ﴿إنهم ألفوا آباءهم ضالين. فهم على آثارهم يهرعون﴾ [الصافات/ ٦٩ـ٧٠]. إلى نحو هذه المعاني.

□ الشر الذي سببه الوجود :

وأما الوجود الذي هو سبب الشر الموجود الذي هو خاص كالآلام، مثل الأفعال المحرمة من الكفر الذي هو تكذيب واستكبار، والفسوق الذي هو فعل المحرمات، ونحو ذلك، فإن ذلك سبب الذم والعقاب، وكذلك يتناول الأغذية الضارة، وكذلك الحركات الشديدة المورثة للألم، فهذا الوجود لايكون وجوداً تاماً محضاً، إذ الوجود التام المحض لايورث إلا خيراً كما قلنا.

إن العدم المحض لا يقتضي وجوداً بل يكون وجوداً ناقصاً، إما في السبب، وإما في المحل، كما يكون سبب التكذيب عدم معرفةالحق والإقرار به، وسبب عدم هذا العلم والقول عدم أسبابه من النظر التام والاستماع التام لآيات الحق وأعلامه، وسبب عدم النظر والاستماع إما عدم المقتضى فيكون عدماً محضاً، وإما وجود مانع من الكبر والحسد في النفس ﴿والله لايحب كل مختال فخور﴾ وهو تصور باطل وسببه عدم غنى النفس بالحق، فتعتاض عنه بالخيال الباطل، والحسد أيضاً سببه عدم النعمة التي يصير بها مثل المحسود أو أفضل

(١) جزء من آية من سورة يس رقم ٦٢ وهي: ﴿ولقد أضل منكم جِبِلاًّ كثيراً أفلم تكونوا تعقلون﴾.

منه، فإن ذلك يوجب كراهية الحاسد لأَن يكافيه المحسود أو يتفضل عليه، وكذلك الفسوق كالقتل والزنا وسائر القبائح، إنما سببها حاجة النفس إلى الاستشفاء بالقتل، والالتذاذ بالزنا؛ وإلا فمن حصل غرضه بلا قتل أو نال اللذة بلا زنا لا يفعل ذلك.

والحاجة مصدرها العدم، وهذا يبين إذا تدبره الإنسان، أن الشر الموجود إن أضيف إلى عدم أو وجود فلابد أن يكون وجوداً ناقصاً، فتارة يضاف إلى عدم كمال السبب أو فوات الشرط، وتارة يضاف إلى وجود، ويعبر عنه تارة بالسبب الناقص والمحل الناقص، وسبب ذلك إما عدم شرط أو وجود مانع، والمانع لايكون مانعاً إلا لضعف المقتضى.

وكل ما ذكرته واضح بيّن إلا هذا الموضع ففيه غموض يتبين عند التأمل، وله طرفان:

أحدها: أن الموجود لايكون سببه عدماً محضاً.

والثاني: أن الموجود لايكون سبباً للعدم المحض.

وهذا معلوم بالبديهة أن الكائنات الموجودة لا تصدر إلا عن حق موجود، ولهذا كان معلوماً بالفطرة أنه لابد لكل مصنوع من صانع، كما قال تعالى: ﴿أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون﴾ [الطور/ ٣٥]. يقول: أخلقوا من غير خالق خلقهم، أم خلقوا أنفسهم؟

ومن المتكلمين من استدل على هذا المطلوب بالقياس، وضرب

الأَمثال، والاستدلال عليه ممكن، ودلائله كثيرة، والفطرة عند صحتها أشد إقراراً به، وهو لها أبده، وهي إليه أشد اضطراراً من المثال الذي يُقاس به.

❑ اختلاف الأُصوليين في العلة الشرعية :

وقد اختلف أهل الأُصول في العلة الشرعية: هل يجو تعليل الحكم الوجودي بالوصف العدمي فيها؟ مع قولهم: إن العدمي يعلل بالعدمي، فمنهم من قال: يعلل به، [ومنهم من قال: لا يعلل به](١)، ومنهم [من فصّل فقال: لايجوز](٢) أن يكون [علة](٣) للوجود في قياس العلة، ويجوز أن تكون [علته](٤) له في قياس الدلالة، فلا يضاف إليه في قياس الدلالة، وهذا فصل الخطاب وهو أن قياس الدلالة يجوز أن يكون العدم فيه علة وجزءاً من [علة](٥)؛ لأن عدم الوصف قد يكون دليلاً على وصف وجودي يقتضي الحكم.

وأما قياس العلة فلا يكون العدم فيه علة تامة، ولكن يكون جزءاً من العلة التامة وشرطاً للعلة المقتضية التي ليست تامة؛ وقولنا: جزء من العلة التامة، هو معنى كونه شرطاً في اقتضاء العلة الوجودية

---

(١) في (ف) ومنهم من أنكر ذلك.
(٢) في (ف) فصل بين ما يجوز...
(٣) و (٤) و (٥) في (ب): علمه. وهو خطأ.

[وهذا][١] نزاع لفظي، فإذا حققت المعاني ارتفع، [فهذا][٢] في بيان أحد الطرفين وهو أن الموجود لايكون سببه عدماً محضاً.

وأما الطرف الثاني: فهو أن [الموجود][٣] لايكون سبباً لموجود يستلزم عدماً، فلأن العدم المحض لا يفتقر إلى سبب موجود بل يكفي فيه عدم السبب الموجود؛ لأن السبب الموجود إذا أثر فلابد أن يؤثر شيئاً، والعدم المحض ليس بشيء، فالأثر الذي هو عدم محض بمنزلة عدم الأثر، بل إذا أثر الإعدام ؛ فالإعدام أمر وجودي فيه عدم.

فإنَّ جَعْل الموجود معدوماً والمعدوم موجوداً أمر معقول، أما جَعْل المعدوم معدوماً فلا يعقل إلا بمعنى الإبقاء على العدم، والإبقاء على العدم يكفي فيه عدم الفاعل، والفرق معلوم بين عدم الفاعل وعدم الموجب وعدم العلة، وبين فاعل العدم وموجب العدم وعلة العدم، والعدم لا يفتقر إلى الثاني بل يكفي فيه الأول.

فتبيّن بذلك الطرفان، وهو أن العدم المحض الذي ليس فيه شوب [وجود][٤] لايكون وجوداً ما، لا سبباً ولا مسبباً، ولا فاعلاً ولا مفعولاً أصلاً، فالوجود المحض التام الذي ليس فيه شوب عدم لايكون

---

(١) في (ب) وهنا.

(٢) في (ب) فهذان. وهو خطأ.

(٣) في (ب) الوجود.

(٤) في المخطوطتين: لوجود. والمثبت من (ف) ولعله أصح.

سبباً لعدم أصلاً، ولا سبباً عنه ولا فاعلاً له ولا مفعولاً.

أما كونه ليس مسبباً عنه ولا مفعولاً له فظاهر، وأما كونه ليس سبباً له؛ فإن كان سبباً لعدم محض فالعدم المحض لا يفتقر إلى سبب موجود، وإن كان لعدمٍ فيه وجود فذلك الوجود لابد له من سبب، ولو كان سببه تاماً وهو قابلٌ لما دخل فيه عدم؛ فإنه إذا كان السبب تاماً والمحل قابلاً وجب وجود المسبب، فحيث كان فيه عدم فالعدم في السبب أو في المحل، فلايكون وجوداً محضاً، فظهر أن السبب حيث تخلف حكمه: إن كان لفوات شرط فهو عدم، وإن كان لوجود مانع فإنما صار مانعاً لضعف السبب وهو أيضاً عدم قوته وكماله، فظهر أن الوجود ليس سبب العدم المحض.

فظهر بذلك القسمة الرباعية، وهو أن الوجود المحض لايكون إلا خيراً، [يبين][1] ذلك أن كل شر في العالم لا يخرج عن قسمين: إما ألم، وإما سبب الأَلم، وسبب الأَلم مثل الأَفعال [المسببة][2] المقتضية للعذاب، والأَلم الموجود لايكون إلا لنوعِ عدم، كما يكون سببه تفرق الاتصال، وتفرق الاتصال هو عدم التأليف والاتصال الذي بينهما وهو الشر والفساد، وأما سبب الأَلم فقد قررت في [قاعدة كبيرة][3] أن أصل

(١) في (ب) بين.
(٢) كذا في المخطوطتين، وفي (ف) السيئة.
(٣) في (ب) عظيمة، كبيرة.

الذنوب هو عدم الواجبات لا فعل المحرمات، [وأن فعل المحرمات][(١)] إنما وقع لعدم الواجبات، فصار أصل الذنوب عدم [الواجب][(٢)]، وأصل الألم عدم [الاتصال][(٣)].

ولهذا كان النبي ﷺ يعلمهم في خطبة الحاجة أن يقولوا: «ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا»[(٤)(٥)]، [فيستعيذ][(٦)] من شر النفس الذي ينشأ عن ذنوبها وخطاياها، ويستعيذ من سيئات الأعمال التي هي عقوباتها وآلامها، فإن قوله: «ومن سيئات أعمالنا» قد يراد به السيئات من الأَعمال، وقد يُراد به العقوبات، فإن لفظ السيئات في كتاب الله يراد به ما يسوء الإنسان من الشر، وقد يراد به الأَعمال السيئة.

قال تعالى: ﴿إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها﴾ [آل عمران/ ١٢٠]. وقال: ﴿وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون﴾ [الروم/ ٣٦].

---

(١) ما بين القوسين ليس في (ب).

(٢) في (ف) الواجبات.

(٣) كذا في المخطوطتين، وفي (ف) الصحة.

(٤) وقع في (أ) خطأ وقد صححته من (ب) و(ف).

(٥) خطبة الحاجة التي كان النبي ﷺ يعلمها أصحابه، رواها الترمذي في جامعه رقم (١١٠٥) وابن ماجه رقم (١٨٩٢)، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، وقال الترمذي: إسناده حسن. وقد جمع الشيخ ناصر الدين الألباني طرق وروايات أحاديث خطبة الحاجة في رسالة مستقلة، وهي مطبوعة.

(٦) كذا في جميع النسخ (فيستعيذ) ولعل الصحيح (فيستعيذوا).

ومعلوم أن شر النفس هو الأعمال السيئة، فتكون سيئات الأعمال الشر والعقوبة الحاصلة بها ليكون مستعيذاً من نوعي السيئات، الأعمال السيئة وعقوباتها؛ كما في الاستعانة المأمور بها في الصلاة: «أعوذ بالله من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال»[1].

فأمرنا بالاستعاذة من عذاب الآخرة وعذاب البرزخ، ومن سبب العذاب: وهو فتنة المحيا والممات، وفتنة المسيح الدجال، وذكر الفتنة الخاصة بعد الفتنة العامة فتنة المسيح الدجال فإنها أعظم الفتن، كما في الحديث الصحيح: «ما من خلق آدم إلى قيام الساعة [فتنة][2] أعظم من فتنة المسيح الدجال»[3].

---

(١) رواه مسلم رقم (٥٨٨) من حديث أبي هريرة.

(٢) ليست في (ب).

(٣) رواه مسلم رقم (٢٩٤٦) عن عمران بن حصين، ولفظه: «ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من المسيح الدجال» وفي رواية: «أمر أكبر من الدجال». قال النووي في شرحه ١٨/ ٨٧: المراد: أكبر فتنة وأعظم شوكة، وجاء في حديث طويل رواه ابن ماجه رقم (٤٠٧٧) عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إنه لم تكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال...».

فصـــل

(العبد وكل مخلوق فقير إلى الله)

إذا ظهر أن العبد وكل مخلوق فقير إلى الله محتاج إليه، ليس فقيراً إلى سواه، فليس هو مستغنياً بنفسه ولا بغير ربه فإن ذلك الغير فقير أيضاً محتاج، ومن المأثور عن أبي يزيد[١] رحمه الله أنه قال: «استغاثةالمخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق».

وعن أبي عبدالله القرشي[٢] أنه قال: «استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون» وهذا تقريب وإلا فهو كاستغاثة العدم بالعدم، فإن المستغاث به إن لم يخلق الحق فيه قوة [وحولاً][٣] وإلا فليس له من نفسه شيء، قال سبحانه: ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾ [البقرة/ ٢٥٥]. وقال تعالى: ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ [الأنبياء/ ٢٨]. وقال تعالى: ﴿وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله﴾ [البقرة/ ١٠٢].

---

(١) أبو يزيد: طيفور بن عيسى أبو يزيد البسطامي، من كبار الصوفية، له أخبار كثيرة، توفي سنة ٢٦١هـ. (ميزان الاعتدال ٢/ ٣٤٦، وفيات الأعيان ٢/ ٥٣١).

(٢) محمد بن أحمد بن إبراهيم الأندلسي الصوفي الزاهد، توفي سنة ٥٩٩. (العبر ٣/ ١٢٦، وفيات الأعيان ٤/ ٣٠٥).

(٣) في (ب) ولا حولا.

واسم العبد يتناول معنيين: أحدهما بمعنى العابد كرهاً، كما قال تعالى: ﴿إن كل من في السموات والأرض إلا آت الرحمن عبداً﴾ [مريم/ ٩٣]. وقال سبحانه: ﴿وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً﴾ [آل عمران/ ٨٣]. وقال تعالى: ﴿وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه بل له ما في السموات والأرض كل له قانتون. بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾ [البقرة/ ١١٦، ١١٧]. وقال سبحانه: ﴿ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً﴾ [الرعد/ ١٥].

والثاني بمعنى العابد، وهو الذي يعبده ويستعينه، وهذا هو المذكور في قوله: ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً..﴾ [الفرقان/ ٦٣]. وقوله تعالى: ﴿عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً﴾ [الإنسان/ ٦]. وقوله: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ [الحجر/ ٤٢]. وقوله: ﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾ [ص/ ٨٣]. وقوله سبحانه: ﴿ياعباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون﴾ [الزخرف/ ٦٨]. وقوله: ﴿واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب﴾ [ص/ ٤٥]. وقوله: ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ [النجم/ ١٠]. وقوله: ﴿نعم العبد إنه أواب﴾ [ص/ ٤٤]. وقوله تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده﴾ [الإسراء/ ١]. وقوله: ﴿وأنه لما قام عبدالله يدعوه﴾ [الجن/ ١٩].

وهذه العبودية قد يخلو الإنسان منها تارة، وأما الأولى [فوصف][1]

(١) في (ب) وقف.

لازم، إذا أريد بها جريان القدر عليه وتصريف الخالق له.

[1] فإن فقر المخلوق له وعبوديته أمر ذاتي له، ولا وجود له بدون ذلك، والحاجة ضرورية لكل المصنوعات المخلوقات.

(١) وقع هنا في المخطوطتين تقديم وتأخير واختلاف عن نص الفتاوى، وزيادات في نص الفتاوى، وقد أثبت نص الفتاوى هنا تتميماً للفائدة: نص الفتاوى (١٤/ ٣٠): «...وتصريف الخالق له، قال تعالى: ﴿أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون﴾ وعامة السلف على أن المراد بالاستسلام: استسلامهم له بالخضوع والذل، لا مجرد تصريف الرب لهم، كما في قوله: ﴿ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً﴾ وهذا الخضوع والذل هو أيضاً لازم لكل عبد لابد له من ذلك، وإن كان قد يعرض له أحياناً الإعراض عن ربه والاستكبار، فلابد له عند التحقيق من الخضوع والذل له. لكن المؤمن يسلم له طوعاً فيحبه ويطيع أمره، والكافر إنما يخضع له عند رغبة أو رهبة، فإذا زال عنه ذلك أعرض عن ربه كما قال: ﴿وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضره مرّ كأن لم يدعنا إلى ضر مسه﴾ وقال: ﴿وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إيّاه فلما نجّاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفوراً﴾. وفقر المخلوق وعبوديته أمر ذاتي لا وجود له بدون ذلك، والحاجة ضرورية لكل المصنوعات والمخلوقات، وبذلك هي أنها لخالقها وفاطرها إذ لاقيام لها بدونه، وإنما يفتقر الناس في شهود هذا الفقر والاضطرار وعزوبه عن قلوبهم. وأيضاً فالعبد يفتقر إلى الله من جهة أنه معبوده الذي يحبه حب إجلال وتعظيم، فهو غاية مطلوبه ومراده ومنتهى همته، ولا صلاح له إلا بهذا، وأصل الحركات الحب، والذي يستحق المحبة لذاته هو الله، فكل من أحب مع الله شيئاً فهو مشرك وحبه فساد؛ وإنما الحب الصالح حب الله والحب لله، والإنسان فقير إلى الله من جهة عبادته له، ومن جهة استعانته به، والاستسلام والانقياد لمن أنت إليه فقير وهو ربك وإلهك...».

وبذلك هي [آية][١] لخالقها وفاطرها؛ إذ لا قيام لها بدونه، وإنما يفترق الناس في شهود هذا الفقر والاضطرار وعزوبه عن قلوبهم، وفي الاستسلام والانقياد لمن أنت إليه فقير وهو ربك وإلهك، قال تعالى: ﴿أفغير دين الله يبغون. وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون﴾ [آل عمران/ ٨٣]. وعامة السلف على أن المراد بالاستسلام استسلامهم له بالخضوع والذل، لا مجرد تصريف الرب لهم، كما في قوله: ﴿ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً﴾ [الرعد/ ١٥].

وهذا الخضوع والذل هو أيضاً لازم لكل عبد لابد له من ذلك، وإن كان قد يعرض له أحياناً الإعراض عن ربه والاستكبار، فلابد له عند التحقيق من الذل والخضوع له.

وهذا العلم والعمل هو أمر فطري ضروري، فإن النفوس تعلم فقرها إلى خالقها، وتذل لمن افتقرت إليه، وغناه من الصمدية التي تفرد بها، فإنه ﴿يسأله من في السموات والأرض﴾ وهو شهود الربوبية بالاستعانة والتوكل والدعاء والسؤال، ثم هذا لا يكفيها حتى تعلم ما يصلحها من العلم والعمل، وذلك هو عبادته والإنابة إليه، فإن العبد إنما خلق لعبادة ربه، فصلاحه وكماله ولذته وفرحه وسروره في أن يعبد ربه وينيب إليه، وذلك قدر زائد على مسألته والافتقار إليه، فإن جميع الكائنات حادثة بمشيئته، قائمة بقدرته وكلمته، محتاجة إليه، فقيرة إليه،

---

(١) في (ف) أنها. وما أثبته من المخطوطتين ولعله الصحيح.

مسلمة لـه طوعاً وكـرهاً، فإذا شهد العبـد ذلك وأسلم له وخضـع؛ فقد آمن بربوبيته ورأى حاجتـه وفقره إليه وصار سائلاً له متوكلاً عليـه مستعيناً به، إما بحاله وإما بمقاله، بخلاف المستكبر عنه المعرض عن مسألته.

❑ أنواع سؤال العبد ربه :

ثم هذا المستعين به السـائل، إما أن يسأل ما هو مأمور بـه، أو ما هو منهي عنه، أو ما هـو مباح له؛ فالأول حال المؤمنين السعـداء الذين حالهم ﴿إيَّاك نعبد وإياك نستعين﴾.

والثاني حـال الكفار والفسّاق والعصـاة الذين فيهم إيمان وإن كـانوا كفـاراً كمـا قـال تعـالى: ﴿ومـا يـؤمـن أكثـرهم بـالله إلا وهـم مشـركـون﴾ [يوسف/١٠٦]. فهـم مؤمنون بـربوبيته مشركون في عبادتـه، كما قال النبي ﷺ لحصين الخـزاعي: «يا حصيـن كم إلهاً تعبـد؟ قال: سبعـة آلهة، ستـة في الأَرض وواحـد في السماء. قـال: فما الـذي تعده لـرغبتك ورهبتك. قـال: الذي في السماء. قال: أسلم حتى أعلمـك كلمة ينفعك بها، فأسلم فقال: قل: اللهم ألهمني رشدي، وقني شر نفسي» رواه الإمام[١] أحمد[٢] وغيره.

(١) كررت في الأَصل.

(٢) هذه الروايـة للترمذي في جـامعه رقم (٣٤٨٣)، ولم أجده بهـذا اللفظ في المسند. ورواه الإمـام أحمد ٤/ ٤٤٤، والنسـائي في عمل اليـوم والليلة رقم (٩٩٣ ـ ٩٩٤) بإسنـاد آخر واختـلاف في الـرواية، وقـال الحافـظ ابن حجـر في الإصابـة ٢/ ٢٧٥: إسناده صحيح، وقال الترمذي في روايته: حسن غريب.

ولهذا قال سبحانه: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾ [البقرة/ ١٨٦]. أخبر سبحانه أنه قريب من عباده [يجيب][(١)] دعوة الداع إذا دعاه، فهذا إخبار عن ربوبيته لهم وإعطائه سؤلهم وإجابته دعاءهم، فإنهم إذا دعوه فقد آمنوا بربوبيته لهم، وإن كانوا مع ذلك كفاراً من وجه آخر أو فساقاً أو عصاة. قال تعالى: ﴿وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفوراً﴾ [الإسراء/ ٦٧]. وقال تعالى: ﴿وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضره مَرَّ كأن لم يدعنا إلى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون﴾ [يونس/ ١٢]. ونظائره في القرآن كثيرة.

ثم أمرهم بأمرين فقال: ﴿فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾ فالأول: أن يطيعوه فيما أمرهم به من العبادة والاستعانة، والثاني: الإيمان بربوبيته وألوهيته وأنه ربهم وإلههم، ولهذا قيل: إجابة الدعاء تكون عن صحة الاعتقاد وعن كمال الطاعة؛ لأنه عقب آية الدعاء بقوله: ﴿فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي﴾ فالطاعة والعبادة هي مصلحة العبد التي فيها سعادته ونجاته، وأما إجابة دعائه وإعطائه سؤله فقد يكون منفعة وقد يكون مضرة. قال تعالى: ﴿ويدع الإنسان

---

(١) في (ب) مجيب.

بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولاً﴾ [الإسراء/ ١١]. وقال تعالى: ﴿ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم﴾ [يونس/ ١١]. وقال تعالى عن المشركين: ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ [الأنفال/ ٣٢]. وقال: ﴿إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم﴾ [الأنفال/ ١٩]. وقال: ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لايحب المعتدين﴾ [الأعراف/ ٥٥]. وقال: ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين. ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه.﴾.. الآية [الأعراف/ ١٧٥، ١٧٦]. وقال: ﴿فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ [آل عمران/ ٦١].

وقال النبي ﷺ لما دخل على أهل جابر فقال: «لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون»[1].

---

(١) جزء من حديث طويل رواه مسلم رقم (٩٢٠) كتاب الجنائز باب في إغماض الميت والدعاء له إذا حُضِر، عن أم سلمة رضي الله عنها.

تنبيه : قول الشيخ رحمه الله: لما دخل على أهل جابر، لعله سهو منه. فإن الوارد في الحديث: دخل على أبي سلمة.

فصــــل

(العبد فقير إلى الله في ما يصلحه ويقصده)

فالعبد كما أنه فقير إلى الله دائماً في إعـانته، وإجابة دعوته، وإعطائه سؤله، وقضـاء حوائجه، فهو فقير إليـه في أن يعلم ما يصلحه ومـا هو الذي يقصده ويـريده، وهذا هـو الأمر والنهي والشـريعة، وإلا فإذا قضيت حـاجته التي طلبهـا وأرادها ولم تكن مصلحـة له، كـان ذلك ضرراً عليـه، وإن كان في الحال له فيه لذة ومنفعة، فالاعتبار بالمنفعة الخالصة أو الراجحة.

وهذا قد عـرّفه الله عباده برسلـه وكتبه، علموهم وزكُّوهم وأمـروهم بما ينفعهـم ونهـوهم عمـا يضـرهم، وبينـوا لهم أن مطلـوبهم ومقصـودهـم ومعبـودهم يجب أن يكـون هو الله وحـده لا شريـك له، كمـا أنه هـو ربهم وخالقهم ، وأنهـم إن تركوا عبادتـه أو أشركوا بـه غيره خسروا خسرانـاً مبيناً، وضلوا ضـلالاً بعيداً، وكـان ما أوتوه من قـوة ومعرفـة [وجاه][1] ومال وغير ذلك، وإن كانوا فيـه فقراء إلى الله مستعينين به عليه، مقرين بربـوبيته؛ فإنه ضرر عليهـم ولهم بئس المصير وسـوء الدار، وهذا هـو الذي تعلّق بـه الأمر الدينـي الشرعي والإرادة الـدينية الشـرعية، كمـا تعلق بـالأول الأمر الكـوني القـدري والإرادة الكـونيـة القـدريـة، والله سبحانه قد أنعم على المؤمنين

---

(١) في (ب) ورجاه. وهو خطأ.

بالإعانة والهداية، فإنه بيّن لهم هداهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب، وأعانهم على اتباع ذلك علماً وعملاً، كما مَنَّ عليهم وعلى سائر الخلق بأن خلقهم ورزقهم وعافاهم، ومَنَّ على أكثر الخلق بأن عرفهم ربوبيته لهم وحاجتهم إليه، وأعطاهم سؤلهم وأجاب دعاءهم، قال تعالى: ﴿يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن﴾ [الرحمن/ ٢٩]. فكل أهل السموات والأرض [يسألونه](١)، فصارت الدرجات أربعة:

قوم لم يعبدوه ولم يستعينوه ولم يتوكلوا عليه [وقد خلقهم ورزقهم وعافاهم.

وقوم استعانوه فأعانهم ولم يعبدوه.

وقوم طلبوا عبادته وطاعته ولم يستعينوه ولم يتوكلوا عليه](٢).

والصنف الرابع الذين عبدوه واستعانوه فأعانهم على عبادته وطاعته، وهؤلاء هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وقد بيّن سبحانه ما خص به المؤمنين [في](٣) قوله: ﴿حبب إليكم الإيمان وزينه في

---

(١) في (ب) يسأله.
(٢) ما بين القوسين ساقط من (ب) وهو في (أ) و (ف).
(٣) في المخطوطتين (من). وما أثبته من (ف) وهو أصح.

قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون﴾ [الحجرات/ ٧].

[آخر قاعدة التوحيد والحمد لله رب العالمين](١).

❑ ❑ ❑

(١) جاء في (ب): تمت بحمد الله وعونه وحسن توفيقه، وصلى الله على محمد وآله ورضي عن أصحابه أجمعين. وكتب في آخرها: بلغ مقابلة وتصحيحاً على الأَصل بحسب الطاقة والإمكان سنة ١٣٣٧هـ.



الفهـــــارس

فهــرس الآيــات



فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الموضوعات